جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

# أسرار أسلوب" الإظهار في موضع الإضمار" في القرآن الكريم، وأثره في التفسير،

## سورة التوبة في تفسير أبي السعود نموذجًا، جمع ودراسة)

إعداد

د. مصطفى عبد العظيم عبد الرازق حسن

مدرس التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر فرع أسيوط

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ- ديسمبر ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي ٢٩٧٤-٤٦٦٠ I.S.S.N و ٢٩٧٤-٤٦٧٩ The Online ISSN

# (أسرار أسلوب" الإظهار في موضع الإضمار" في القرآن الكريم، وأثره في التفسير، سورة التوبة في تفسير أبي السعود نموذجًا، جمع ودراسة)

**مصطفى عبد العظيم عبدالرازق حسن**
**قسم التفسير وعلوم القرآن- كلية أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر بأسيوط - مصر.**
**البريد الإلكتروني :- mostafahassan٤٨١٩@azhar.edu.eg**

## ملخص البحث:-

لقد تضمن هذا البحث الكلام عن أسلوب الإظهار في مقام الإضمار، وأثره في التفسير وتطبيق ذلك على المواضع التي جاء فيها هذا الأسلوب في سورة التوبة، وذلك من خلال كتاب تفسير أبي السعود– رحمه الله–، وقد تناولت من خلاله، تعريف الإظهار والإضمار، ومعنى مصطلح" الإظهار في موضع الإضمار"، مع بيان كلام أهل النحو والبلاغة عنه، وموقفهم من جواز مجيئه في الكلام البليغ من عدمه، مع بيان كلام أهل التفسير والتأليف في مباحث علوم القرآن فيه، ثم قمت بتتبع مواضع هذا الأسلوب في سورة التوبة، وقمت بإلقاء الضوء عليها من خلال سرد تلك المواضع الواحد تلو الآخر، وعند كل موضع أبين تفسير الآية، وسبب نزولها أو علاقتها بما قبلها إن دعت حاجة فهم تفسيرها إلى ذكر سبب نزولها أو بيان مناسبتها لما قبلها، ثم أذكر الاسم المظهر في الآية، وفائدته البلاغية مع الاستشهاد لذلك بكلام أبي السعود، ومن تقدم عليه أو تأخر عنه من المفسرين، وأخيرا قمت بإبراز أثر أسلوب الإظهار في موضع الإضمار لكل آية ورد بها هذا الأسلوب، وقد بلغ عدد المواضع التي جاء بها في سورة التوبة واحداً وعشرين موضعاً. وقد جعلت عنوان هذا البحث (أسرار أسلوب" الإظهار في موضع الإضمار" في القرآن الكريم، وأثره في التفسير، سورة التوبة في تفسير أبي السعود نموذجاً، جمع ودراسة)، وهو مؤلف من مقدمة، و ثلاثة مباحث، وخاتمة. المبحث الأول : ترجمة الشيخ أبي السعود، ومكانة تفسيره، وفيه خمسة مطالب، المبحث الثاني: أسلوب " الإظهار في موضع الإضمار" وفيه ثلاثة مطالب، المبحث الثالث: مواضع " الإظهار في موضع الإضمار" في سورة التوبة، وأثره في التفسير من خلال تفسير أبي السعود. وفيه مطلبان.

الكلمات المفتاحية: أسلوب- الإظهار- موضع- الإضمار- التفسير- التوبة- أبي السعود.

# "Secrets of the Style 'Emphasis in the Context of Omission' in the Noble Qur'an and Its Impact on Interpretation: Surah At-Tawbah in Abu Su'ud's Tafsir as a Model—Collection and Study".

*Mustafa Abdel Azim Abdel Razek Hassan*

**Department of interpretation and Quranic Sciences, Faculty of origins of religion and Da'wah, Al-Azhar University, Assiut branch, Egypt.**

**Email: mostafahassan٤٨١٩@azhar.edu.eg**

## Abstract:

This research discusses the style of "emphasis in the context of omission" and its impact on interpretation, applying this to the instances of this style found in Surah At-Tawbah through the work of Abu Su'ud's Tafsir. The study includes a definition of emphasis and omission, as well as the meaning of the term "emphasis in the context of omission." It elaborates on the views of grammarians and rhetoricians regarding its permissibility in eloquent speech, alongside commentary from interpreters and scholars on relevant discussions in the sciences of the Qur'an.

I traced the occurrences of this style in Surah At-Tawbah, highlighting each instance one by one. For each verse, I provided an interpretation, reasons for its revelation, or its relation to preceding verses when necessary. I identified the emphasized term in each verse, noting its rhetorical significance, supported by references from Abu Su'ud and other interpreters who preceded or followed him.

Ultimately, I highlighted the effects of the style of emphasis in the context of omission for each verse containing this style, totaling twenty-one instances in Surah At-Tawbah. The title of this research is "Secrets of the Style 'Emphasis in the Context of Omission' in

the Noble Qur'an and Its Impact on Interpretation: Surah At-Tawbah in Abu Su'ud's Tafsir as a Model—Collection and Study." It consists of an introduction, three sections, and a conclusion.

**Section One:** The Biography of Sheikh Abu Su'ud and the Importance of His Tafsir, containing five topics.

**Section Two:** The Style of "Emphasis in the Context of Omission," consisting of three topics.

**Section Three:** Instances of "Emphasis in the Context of Omission" in Surah At-Tawbah and its impact on interpretation through Abu Su'ud's Tafsir, comprising two topics.

**Keywords:** Style of emphasis , Context , Omission , Interpretation, At-Tawbah , Abu Su'ud.

## المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم، خالياً من العوج، كاملاً من ضروب الفصاحة لمن ذاق ووجد، متحدياً به العجم والعرب، فألجمهم الحجة وغَلب، وأعيت فصاحته كل من دنا واقترب، وسطع نوره على كل واحدٍ ومشترك، ثم الصلاة والسلام الأتمين الأكملين على أفصح من أرسل الربﷻ، وأكمل من أوجد وخلق، وأكمل من حمد الله وشكره وعبد، وأفضل من صلى وصام وركع وسجد، عدد ما في علم الله ﷻ من العدد، سيدنا محمدﷺ الأمجد الأجود، وكذا الصحب أوفى من أوفى رسوله بالطاعة واجتهد، فبذلوا في الله النفس والولد، وبلّغوا العلم عن سيدهم المخلَص المسدَّد، وعلى الآل المطهرين من رجس كل قذرٍ خفيف ومشدَّد.

### ثم أما بعد:

فإن القرآن الكريم حجة الله ﷻ على العالمين، وهو الكتاب القويم، الذي به جميع الفنون، ومختلف العلوم، ومتنوع المدارك والفهوم، وقد بلغ من الفصاحة أعلاها، ومن البلاغة أقصاها.

وقد عكف العماء قديماً حديثاً على كتاب الله ﷻ بحثاً وتنقيباً، دراسة وتطبيقاً، للوقوف على أسراره الفائقة، وأنواره الشاهقة، وكنوزه الساطعة، وعجائبه الدائمة، فأخرجوا لنا منه لآليء الدلائل والإعجاز، ويواقيت الحلول للألغاز، فأخرسوا به كل حر وخادم وعبد وأستاذ.

وقد اشتمل القرآن الكريم على أساليب بلاغية فائقة اعتنى بإظهارها البلاغيون، وعمل على إبراز أثرها وأسرارها المفسرون، ومن تلك الأساليب البلاغية، والتي لها آثار جلية في تفسير الجملة القرآنية، أسلوب يعرف بـ(الإظهار في موضع الإضمار) أو (وضع

المظهر موضع المضمر)، وهو أسلوب بلاغي فائق، زين به أسلوب القرآن آذان التالين له في كل زمان ومكان، شاع وجوده وكثر، واتسع حلوله وانتشر، فسورة التوبة وحدها بها نحو من واحدٍ وعشرين موضعاً لهذا الأسلوب فتدبر.

ولا عجب في شيوع هذا الأسلوب في القرآن الكريم، ذلك أن الأصل في الكلام أن يكون على مقتضى الظاهر، بأن يكون المقام والأصل في الجملة إذا ذكر فيها اسم ظاهر، أن يؤتى بعد بالضمير العائد عليه، فيُعدل عن ذلك الأصل، ويصرح بالظاهر وذلك يكون لسببٍ أو نكتةٍ أو فائدةٍ،(فإذا كان الضمير يعطي إشارة ذهنية إلى العائد عليه، هذه الإشارة تحضره في النفس، إلا أن قدراً كبيراً من التأثير يظل الاسم الظاهر محتفظاً بها، ولا يستطيع الضمير حملها نيابةً عنه؛ لأنها تتولد حين يقرع اللفظ السمع بجرسه، وارتباطاته المختلفة جداً الاختلاف، والتي اكتسبها في قصته الطويلة مع الكلمات، والأحداث والمواقف، خذ لذلك قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾[1]، فإنه من الواضح أنه لو قيل: ﴿وبه﴾ نزل لكان الضمير عائداً على ﴿الحق﴾، ومؤدياً معناه من حيث الدلالة النحوية أو الدلالة المنطقية، ولكن يبقى لكلمة ﴿الحق﴾ من القدرة على إثارة قدرٍ كبيرٍ من الخواطر لا ينهض الضمير بشيء منها)[2]. وهكذا هو كتاب اللهﷻ غرضه تقديم المعلومة أو الحكم أو المعنى أو العبرة ليس بمجرد الأسلوب الظاهر، بل بأسلوبٍ عالٍ يتضمن فوائد وأسباب فيها من الفطنة والفهم والذوق ما فيها، وهكذا هي البلاغة، فلا غرو أن وجد مثل هذا الأسلوب الجميل في هذا الكتاب الجليل، فالقرآن هو أولى الكتب وأجدرها بورود مثل هذه الأساليب النفيسة، فإن للقرآن الكريم وجوهاً للإعجاز، منها إعجازه في أسلوبه، وهي لن تجد كتاباً أكمل من القرآن الكريم يبرزها ويجليها.

(١) جزء من آية ١٠٥ من سورة الإسراء.

(٢) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني. المؤلف: محمد محمد أبو موسى. (٢٤٨). الناشر: مكتبة وهبة. الطبعة: السابعة.

هذا وقد عرّفه في كتبهم اللغويون، ودرس فوائده وأسبابه البلاغيون، وكشف آثاره المفسرون، وأكثر من إبرازه في مباحث علوم القرآن المؤلفون والمجتهدون.

ومن كثرت ما تحدث عنه المفسرون في كتبهم، والمؤلفون في علوم القرآن في مباحثهم، فإنا لا نجانب الصواب إن قلنا هو أسلوب بلاغي من جهة، ولكنه أيضاً هو من القواعد التفسيرية – من جهة أخرى– التي بمراعاتها تظهر آثار واضحة على معنة الجملة القرآنية، وتتشكل الإجابة على أسئلة تطل على الساحة العقلية، مثل لم جيء بهذا اللفظ ظاهراً وواضحاً مع أنه سبق ذكره، ويكفي في التعبير عنه الاقتصار على ضمير يعود عليه؟

فهو أسلوب بلاغي قرآني قلما يخلوا منه موضع في القرآن الكريم، كما صرح بذلك أهل البلاغة أنفسهم(١)

ولذلك كله نجد أن من علماء البلاغة من يذكر أن هذا الأسلوب من فنون النحو والإعراب، مع أن كل كتب البلاغة لا تخلوا من الكلام عنه باستطراد وإطناب، ومع ذلك يقرون بأن أوسع من تكلم عن هذا الأسلوب وأكمل من تناوله بالإيضاح هم مؤلفوا مباحث علوم القرآن الكريم، كما سيأتي بيانه في موضعه من البحث قريباً.

والواقع أن ذلك الاهتمام الكبير من المفسرين والمؤلفين في مباحث علوم القرآن، بهذا الأسلوب إن دل فإنما يدل على أنهم قد علموا ما لأهميتة في التفسير، وأن إبرازه وفقهه يتوقف عليه فهم واستيضاح كثير من معاني الآيات القرآنية، ومن أجل ذلك جاء هذا البحث في هذا الشأن تحت عنوان (أسرار أسلوب" الإظهار في موضع الإضمار" في القرآن الكريم، وأثره في التفسير، سورة التوبة في تفسير أبي السعود نموذجاً، جمع ودراسة)، كمحاولة مني أن استزيد من فهم وتذوق هذا الأسلوب كمبحث بلاغي، وقاعدة تفسيرية هامة لابد لمن يقدم على دراسة القرآن الكريم وتفسيره أن يكون على علم به، وإلا غاب عنه الكثير من معان القرآن الكريم ولطائفه، وأسراره وفرائده.

(١) انظر: المصدر السابق. ( ٢٤٧).

فقمت بتعريف هذا الأسلوب أو هذا المصطلح في اللغة والاصطلاح، وبينت موقف علماء النحو والبلاغة والتفسير منه، وذكرت فوائده وأسبابه وآثاره عند البلاغيين والمفسرين ، واخترت سورة التوبة لجمع ودراسة ما بها من مواطن جاء فيها هذا الأسلوب الرائق، وقد بلغ عددها نحوا من واحدٍ وعشرين موطناً، وذلك في ضوء كتابٍ هو من الكتب التي عنيت بالتركيز على استظهار آثار النكات البلاغية في الجملة القرآنية، لمؤلفٍ ومفسرٍ من العلماء المعدودين الذين تمكنوا من الحديث عن النواحي البلاغية في تفسير كلام رب البريةﷻ ، وذلك لتمكنه من العلوم، وحيازته لتلك الفنون، وهو أمر لم يتيسر لكثيرٍ من المفسرين، ولا عجب في ذلك فالبحر أمواجه عالية، والعلم أبوابه عاتية إلا من قدر الله له التوفيق، ووهبه التبحر والتحقيق، وأعني بالكتاب والمؤلف كتاب " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" المعروف بـ " تفسير أبي السعود "للعلامة شيخ الإسلام، ومفتي الديار الرومية أبي السعود رحمه الله ﷻ وطيب ثراه، حيث اهتم أبو السعود في تفسيره هذا بإبراز النواحي البلاغية للقرآن، فكشف لنا عن أسرار التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، والفصل والوقف، والتعبير بلفظ دون آخر، والإظهار في مقام الإضمار، واستنباط المعاني الدقيقة المستورة في خبايا المفردات والتراكيب، وغير ذلك من أسرار علوم البلاغة الثلاثة : المعاني ، والبيان ، والبديع ، التي لا يهتدي إليها إلا من منحه الله بصيرة نافذة، وحساً ثاقباً.

**أسباب اختياري لهذا التفسير دون غيره من التفاسير التي عنيت ببلاغة أسلوب القرآن الكريم: -**

إن التفاسير التي غلب عليها طباع استظهار النواحي البلاغية في ضوء تفسير الآيات القرآنية، إما أنها كتب قديمة أو حديثة: –

- **أما الكتب القديمة**، فقد اعتمد عليها الشيخ أبو السعود في تفسيره بشكلٍ كبيرٍ لا سيما تفسير الإمام الكشاف(١)، والإمام البيضاوي(٢)، ولقد صرح- رحمه الله- في مقدمة تفسيره، بمدحه لتفسيرهما، وكبير تعظيمه لهما، فقال- في معرض حديثه عن جهود المتأخرين في استخراج لآليء القرآن، وبيان ما فيه من وجوه الإعجاز والبيان- (... لا سيما الكشاف وأنوار التنزيل المتفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل فإن كلا منهما قد أحرز قصب السبق أي إحراز كأنه مرآة لا جتلاء وجه الإعجاز، صحائفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان(٣) وقلائد العقبان(٤))(٥) ، وأيضاً كتاب نظم الدر للإمام البقاعي(٦)

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)
الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل. المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ). المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

(٣) الجمان هو: حَبٌّ يُتَّخذ مِنِ الْفِضَّةِ أَمثال اللُّؤْلُؤِ . لسان العرب لابن منظور – باب النون – فصل الجيم – مادة ج م ن –٩٢/١٣ – ط: دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .

(٤) العُقاب: العَلَم الضَّخم . والعُقاب: اللِّواء الذي يُعقَد للوُلاة، شُبِّه بالعقاب الطَّائر . قال: والعقاب: الصَّخرة العظيمة في عُرض الجبل . انظر: تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ). باب العين والقاف مع الباء – مادة ع ق ب – ١٨٣/١.المحقق: محمد عوض مرعب. الناشر: دار

(٥) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ). (١/ ٤).الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ). الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

- **وأما الكتب الحديثة**: فقد قدمت كتاب أبي السعود واخترته دونهم، لما يلي:-

١- أن كل من ألف بعده تفسيراً في هذا الفن عيال عليه ، نهلوا من كتابه، وجعلوه لهم مصدراً ومعيناً، وبأقل مطالعة لكل من: الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" [(١)]، والإمام الآلوسي في تفسيره "روح المعاني"[(٢)]، يتضح ذلك بكل جلاء، فهذا الإمام له مكانة عند كل من جاء بعده من المفسرين الذين غلب على تفاسيرهم الطابع البلاغي، بل هو العمدة عند هؤلاء المتأخرين، فما من موضع ذكره الشيخ في تفسيره، إلا وذكروه، وما من موضعٍ في كتبهم انفردوا به دونه فلم يذكره وذكروه، وليس أدل على مكانة هذا الشيخ الكبير عند هؤلاء المتأخرين الأعلام، من تعدد وصف الإمام الآلوسي، وتلقيبه للشيخ أبي السعود بالألقاب العالية المتنوعة، مع الآلوسي هو من هو في أكثر العلوم، ومختلف الفنون والفهوم، فعندما نطالع تفسير الآلوسي نجد أنه يلقب الشيخ أبا السعود بستة ألقاب كلها قمة في التقدير والتبجيل، فهو عنده (شيخ الإسلام) ، وتارة يبالغ في تعظيمه فيقول: (شيخ الإسلام مولانا مفتي الديار الرومية)، أو يقول مبالغةً أيضاً: (مولانا شيخ الإسلام)، وتارة يلقبه بـ (العلامة شيخ الإسلام)، أو بـ (الفاضل مولانا شيخ الإسلام)، وانظر إلى إجلاله له حين يعبر عنه بقوله : (المولى المحقق شيخ الإسلام قدس سره)[(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ). الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ). المحقق: علي عبد الباري عطية. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٣) انظر المصدر السابق: على الترتيب: ( ٣٦/١)، (٩٢/٢)، (١١٧/٢)، (١٢٦/٢)، (٢/ ٩٣)، (٢/ ٢٤٨)، و(٢٧٧/٢)،(٢/ ٤٠٥)، (٣/ ١٢٠)، (٧/ ٢٩).

٢- وعليه فبمطالعة تفاسيرهم نجد أن الشيخ عند تفسيره لسورة التوبة، وإيراده لمواضع الإظهار في موضع الإضمار قد كفى ووفى، فإن لم يكن قد زاد عليهم في حصر المواضع فما زادوا عليه، وإن لم يكن قد فاقهم حصراً فما فاقوه، ففيه الغناء والكفاية، كما أنه الأصل، ولذا اخترته دونهم.

- **وبالنسبة لأسباب اختياري لتفسير أبي السعود على الكتب القديمة**، وتقديمي إياه على من سبقه مع أنهم الأصل لتفسيره، كما تقدم قريباً، ومع ذلك فقد اخترته عليهم، وقدمته ليكون مصدراً لبحث أسلوب الإظهار في مقام الإضمار الوارد في سورة التوبة، وذلك للأسباب الآتية:-

١- ما تقدم من عناية أبي السعود بإبراز الأسرار البلاغية في ضوء تفسير الآيات القرآنية، كما سيأتي عند الكلام عن هذا الكتاب في المبحث الأول إن شاء الله ﷻ.

٢- وأما بالنسبة لإمام اللغة والبيان الشيخ الزمخشري ، الفاتح لكل من جاء بعده من المفسرين مغلباً لون البلاغة على كتابه، فإني لم أختر كتابه في التفسير، وإن كان متقدماً على أبي السعود بكثير، وذلك لأنه مقارنةً بالشيخ أبي السعود فإنه مقل في إيراده لهذا الأسلوب في تفسيره، غير مبرزٍ له في كثير جداً من مواضع كتابه، بل حسبنا أن نعلم أني بالتتبع لتفسير سورة التوبة في تفسير الزمخشري- عن طريق المطالعة والنظر أولاً، ثم الرجوع إلى الحاسوب ثانياً- فإني لم أعثر له على موضعٍ واحدٍ من السورة- التوبة- ذكر أو أشار إلى أنه متضمن لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار، بخلاف الشيخ أبي السعود، فقد ذكر للأسلوب في سورة التوبة واحداً وعشرين موضعاً، أبرزها وجلاها، وفسرها وتلاها.

٣- وأما بالنسبة لشيخه البيضاوي، فلو طالعنا كتابه لوجدناه قد ذكر في سورة التوبة ثلاثة مواضع فقط أظهر فيها المضمر،- وهذا قليل جداً مقارنة بتفسير أبي السعود كما ذكرت- وهذه المواضع ذكرها أيضاً المفتي أبو السعود، وزاد عليها كثيراً، وآيات هذه المواضع- من سورة التوبة- هي قوله ﷻ ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾[1]،

(١) انظر تفسير البيضاوي (٧٣/٣).

و﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾[1]، و﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[2]، ولذا فقد اخترت تفسير أبي السعود حتى تكون الدراسة أوسع وأشمل.

٤- وأما بالنسبة لنظم الدرر للبقاعي، فهو وإن كان من الكتب التي اعتمد عليها الشيخ في تفسيره- كما سيأتي عند الحديث عن تفسير أبي السعود في المبحث الأول-، وهو أيضاً من التفاسير المتقدمة التي ذكرت كثيراً من مواضع هذا الأسلوب في سورة التوبة، إلا أنه بالتتبع لتفسير سورة التوبة، من خلال مطالعة تفسير البقاعي، وجدت أن عدد المواضع التي ذكر البقاعي أن فيها إظهاراً في مقام الإضمار، عددها تسعة فقط[3]، بخلاف أبي السعود فقد استوعب الرجل عدداً أكثر، ومواضع أكثر بلغت -كما ذكرت- الواحد والعشرين موضعاً.

**ولابد من ملاحظة** أن كل تلك التفاسير لم أستغن عنها بل استعنت بها في فهم بعض المواضع تارةً، وفي التفاسير وشرح الآيات تارةً أخرى، وفي المناسبات أحياناً، وفي سبب النزول إن احتيج إليه في استيضاح المعنى والتفسير.

هذا وقد أفردت للشيخ مبحثاً تحدثت فيه عن الكتاب، ومكانته، ومؤلفه، سيأتي في موضعه إن شاء الله ﷻ.

**وأسأل الله ﷻ التوفيق والسداد، وأن يكون العمل خالصاً لوجه العليم الوهاب.**

---

(١) انظر نفس المصدر ( ٣/٩٤).

(٢) انظر نفس المصدر ( ٣/٩٩).

(٣) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٤٥١، ٤٩٢، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥٢٠، ٥٧٣)، و(٩/ ٢، ٣، ٢٩، ٤٥).

## مشكلات البحث:-

**لقد واجهني في بداية هذا البحث بعض المشكلات، وهي:-**

١- صعوبة حصر المواضع في سورة التوبة من كتب التفسير التي جاء فيها أسلوب" الإظهار في مقام الإضمار"، حتى أقف على أكثر الكتب- التي غلب عليها طابع البلاغة[١]- إيراداً لهذا الأسلوب، فيكون هو محور البحث لمواضع سورة التوبة، وما تضمنته من مواضع لهذا الأسلوب، ولعل تلك الصعوبة تتمثل في أن تعبير المفسرين عن هذا الأسلوب ليس واحداً، بل إن تعبير المفسر الواحد في كتابه، ليس مطرداً على صيغة بعينها، فتارة يعبر عنه بـ" الإظهار في مقام الإضمار" أوبـ " وضعُ المظهرِ موضعَ المضمرِ"أوبـ " وُضع الظاهرُ موضعَ المُضمرِ"، وهي تعبيرات صريحة في الأسلوب، ولكن قد تكون التعبيرات غير مباشرة أو صريحة مثل أن يعبر المفسر عن لفظ "المظهر" أو " الإظهار" بنص اللفظ المظهر الموضوع، عن لفظ " الإضمار" أو " المضمر" بنص اللفظ نفسه المضمر، كقول الإمام البقاعي عند تفسيره لقوله ﷻ من سورة التوبة ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾، في كتابه[٢] (وقوله: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في موضع ﴿ما عليهم لبيان إحسانهم بنصحهم مع عذرهم﴾)، ومن ثم فالاعتماد على جهاز الحاسوب في حصر المواضع غير صائب، فكان لابد من الاعتماد على المطالعة المباشرة، حتى يكون الحصر دقيقاً.

---

(١) مثل تفسير الكشاف، والبيضاوي، وأبي السعود، و نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. للبقاعي، وتفسير الآلوسي، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. (٨/ ٥٧٣).

٢- ولعل هذه المشكلة واجهتني مع الشيخ أبي السعود أيضاً فهو أستاذ كبير، والتفنن في العبارة، ليس منه بمستغرب، ولا عليه بكبير، وقد لحظت خلال جمعي لمواطن سورة التوبة من تفسيره أنه عبر عن هذا الأسلوب بتعبيرات متنوعة، بلغت حوالي عشر صيغ متنوعة، منها: (وُضع الاسمُ الجليلُ موضِعَ المضمر)[١]، (وإنما أوثر مَا عليهِ النظمُ الكريمُ)[٢]، (في وُضع الظاهرُ موضعَ المُضمرِ)[٣](تركُ الإضمار)[٤]، و(ووضعُ الظاهرِ موضعَ الضمير)[٥] وسوف يأتي بيان ذلك في محله من البحث إن شاء الله ﷻ، وقد استعنت على ذلك بمطالعة تفسيره لسورة التوبة حتى أتمكن من حصر مواطن هذا الأسلوب بدقةٍ واطمئنان.

## الهدف من البحث، والباعث على اختيار الموضوع:-

١- إلقاء الضوء على أسلوب الإظهار في موضع الإضمار باعتباره أسلوباً بلاغياً لا غنى عنه لفهم كلام الله ﷻ بشكلٍ يظهر أسلوب القرآن العالي، وإعجازه الغالي، ثم كونه قاعدة تفسيرية هامة يعتمد عليها المفسر في فهم كلام الله ﷻ، وذلك بتعريف هذا الأسلوب، وموقعه عند البلاغين والمفسرين.

٢- إبراز مواطن هذا الأسلوب في سورة التوبة، مع ربطه بمعان الآيات التي ورد فيها، وذلك من خلال تناول هذه الآيات بالتفسير والتحليل، وبيان أثر هذا الأسلوب في التفسير.

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود (٤/ ٤١).
(٢) نفس المصدر. (٤/ ٤٧).
(٣) نفس المصدر. (٤/ ١٠٠).
(٤) نفس المصدر. (٤/ ١٠٣).
(٥) نفس المصدر. (٤/ ١١٢).

٣- بيان مكانة تفسير العلامة أبي السعود بين المفسرين، ككتابٍ عني بشكلٍ بارزٍ بإظهار الأوجه البيانية، ودلائل الإعجاز البلاغية، وأثرها في الجملة القرآنية، بشكلٍ فاق حتى أساتذته من المفسرين السابقين، من غير إطنابٍ ممل ، ولا إيجازٍ مخل.

٤- إظهار أن المتأخرين من المفسرين كالآلوسي، والطاهر بن عاشور، وكل من غلب على تفسيره طابع البلاغة والبيان، عيال على الشيخ أبي السعود، فقد اعتمدوا عليه، ونقلوا عنه، بل لا غنى لهم عنه فهو العمدة والمعتمد لديهم، والمقدم عندهم.

٥- حب المساهمة في التزود من هذا الأسلوب في ضوء سورة التوبة، وتفسيرها عند تفسير العلامة أبي السعود، لعل ذلك يكون دافعاً لبحث غيره من الأساليب البلاغية التفسيرية، في تفسيره، أو في بحث ذات الأسلوب ولكن في سورة أخرى غير التوبة، فيتم حصر هذه المواطن في القرآن الكريم، وتلك الأساليب في كتب التفاسير سواء كان تفسير أبي السعود أو غيره من التفاسير التي عنيت بذلك.

٦- توجيه أنظار الباحثين إلى ضرورات هذا الأسلوب البلاغي، وأثره في التفسير، وأنه ليس خاصاً بمباحث البلاغة والبلاغيين، بل هو من قواعد التفسير الهامة، ولابد من دراسته في ضوء كتب التفسير حتى نقف على أنهم أدركوا أهميته وإلا لما تكلموت عنه، وأولوه مثل هذا الجانب الكبير من تفاسيرهم.

٧- فتح آفاق البحث في غير هذا الأسلوب من أمثاله من الأساليب البلاغية، ودراستها في ضوء التفاسير القرآنية، فيتجلى لنا أن كلام الله ﷻ غني بكل فنٍ، ثري بكل علم.

٨- بيان إعجاز القرآن الكريم، في أسلوبه، وإظهاره لمقصده، وتبليغه لدعواه في أفصح أسلوب، وأبلغ بيان فهو بحق كلام الله ﷻ المعجز في كل زمانٍ ومكان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

## المنهج المتبع في البحث:-

**وقد اتبعت في بحثي هذا المنهج:-**

١- ذكر الآيات الكريمة في البحث مع عزوها إلى سورها بخط صغير في صلب الرسالة، وليس في الهامش، إلا الآيات الواردة ضمن نص منقول، فلا أتصرف في النقل بإضافة ذكر اسم السورة في صلب البحث، بل أذكر السورة والآية في الهامش.

٢- دعم البحث بالأحاديث النبوية- إن وجدت حاجة لذلك- مع تخريجها من مصادرها الأصلية، فاذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت في الحكم بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، وإن لم يكن فيهما ذكرت حكم أحد العلماء عليه من الأئمة وأهل الحديث، وذلك في الهامش.

٣- شرح الكلمات الغريبة الواردة- إن وجدت- في البحث في الهامش، مع الضبط لما يصعب قراءته من الكلمات، وذلك في الهامش.

٤- تخريج الأبيات الشعرية- إن وجدت- من مصادرها مع عزوها إلى قائلها إن أمكن ذلك، وذلك في الهامش.

٥- الترجمة لبعض الأعلام الواردة في البحث، لا سيما غير المشهور منهم، وإلا اكتفيت بشهرته عن ترجمته دفعاً للإطالة، وذلك في الهامش.

٦- قمت بحصر الآيات في سورة التوبة التي بها أسلوب الإظهار في مقام الإضمار، من كتاب تفسير أبي السعود، وذلك من خلال قراءة تفسير السورة في الكتاب.

٧- مقابلة هذه المواضع في كتب التفسير التي عنيت بإبراز أسلوب البلاغة والبيان، زيادة في التأكيد في حصر المواضع، وحتى أطمئن أن أحداً غير أبي السعود قد زاد موضعاً عليه.

٨- تفسير معنى الآية التي ورد فيها الموضع بشكلٍ مجملٍ وواضحٍ، في ضوء كتب التفاسير لاستيضاح المعنى وتبيينه.

٩- إذا كان معنى الآية يحتاج إلى شرح كلمة غريبة، أو بيان سبب النزول أوردته وإلا فلا.

١٠- تحديد الجملة القرآنية من الآية التي وردت فيها، والتي تضمنت هذا الأسلوب، مع الاستشهاد بكلام أبي السعود لذلك ثم حصر من قال غيره من المفسرين أن الآية أو الجملة فيها أسلوب الإظهار.

١١- بيان أثر أسلوب الإظهار في مقام الإضمار على تفسير الموضع والآية التي ورد بها، وذلك من خلال تفسير أبي السعود وغيره من كتب التفاسير.

١٢- استظهار أقوال المفسرين في الأسلوب الوارد في الآية، والذي ذكره أبو السعود في تفسيره، لاستبيان هل خالفه أحد في قوله أم لا.

١٣- قمت بذكر المصادر والمراجع مرتبة وفق أسبقية ذكرها في البحث، الأول فالثاني فالثالث....الخ

## الدراسات السابقة:-

من خلال البحث والتقصي، والاستعانة بشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) لم أجد بحثاً يحمل عنوان هذا البحث أصلاً، أو يمكن أن يغني عن هذا البحث أو يكون بديلاً عنه، أو مطابقاً له، ولكني وجدت بعض العناوين لبعض الأبحاث، منها ما هو بعيد تماماً عن مضمون هذا البحث، ومنها مايشبهه من وجهٍ أو أكثر، وهذا ليس بمستغرب فالأفكار قد تتلاقى، ولكن لكل تعبير عبير، وبيان ذلك كما يلي:-

١- بحث بعنوان : (وضع الظاهر موضع المضمر وتطبيقاته في القرآن)، للباحث طلال يحيي وهو مدرس بقسم اللغة العربية، وقد جاء البحث مرتكزاً على تخصص مؤلفه، فهو في اللغة العربية، مع الإتيان لأمثلة له من القرآن الكريم، وهوبحث مختصر جداً، ولم أجد له منهجاً في كتابته، فهو لم يذكر ملخص البحث، ولا بواعث اختيار الموضوع، ولا أهداف البحث، ولا الدراسات السابقة، ولا خطة للبحث، كما هو معتاد في كتابة الأبحاث، ما خلا مقدمة صغيرة، وحديث مصغر عن أسلوب الإظهار في مقام الإضمار

تحت عنوان " عناية الأقدمين بهذا الأسلوب" وهو عبارة عن لمحات خاطفة لموقف سيبيويه من هذا الأسلوب ثم الشيخ جلال الدين السيوطي من خلال كتابه " الإتقان في علوم القرآن"، وكذا كلام لبعض البلاغيين، وتحت عنوان " نماذج تطبيقية من القرآن الكريم" أورد في عجالة سريعة خمسة أهداف لإيراد هذا الأسلوب في القرآن، ولعلها هي ذات الأهداف التي ذكرها البلاغيون، وإلا فأهل القرآن من العلماء والمفسرين قد ذكروا لهذا الأسلوب أكثر من هذا بكثير، فصاحب البرهان ذكر له سبع عشرة فائدة وسبباً[١]، وصاحب الإتقان أورد ستة عشر[٢]، وكذا من البلاغيين من ذكر له حوالي ثماني فوائد[٣]، وقد ذكر الباحث لكل هدف مثال أو اثنين من القرآن الكريم، دون التعرض للتفسير، فالبحث كما قلت وفق تخصصه في اللغة العربية، وأخيراً ذكر بعض نقاط كنتائج للبحث.

فهي دراسة مختصرة جدا– جاءت في حوالي سبعة عشر لوحاً من الورق– ولا تلبي حاجة الكلام عن مثل هذا اللون ، وهي دراسة لغوية تناولها من الناحية اللغوية لا التفسيرية ، وهي بعيدة عن منهجي في بحثي حيث عمدت الى حصر مواطن الإظهار والإضمار في سورة التوبة بشكل استقرائي حصري، ثم أقوال المفسرين في تفسيرها ثم إبراز أثر هذا الاسلوب في التفسير، كما أن عنده بعض الأخطاء مثل قوله إن الزركشي عد أسلوب الإظهار في موضع الإضمار من الإطناب وليس كذلك بل عده من التأكيد،

---

(١) البرهان في علوم القرآن. المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ). (٤٨٢/٢). المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م. الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن. المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). (٢١٦/٣). المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣) انظر علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع». المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) (ص: ١٤٣، ١٤٤).

والذي جعله من الإطناب هو السيوطي في إتقانه[١] ومعتركه[٢]، كما سيأتي بيان ذلك عند الكلام عن هذا الأسلوب في كتب علوم القرآن والمفسرين.

٢- بحث بعنوان الإظهار في مقام الإضمار" في القرآن الكريم ، مفهومه- أغراضه- عناية المفسِّرين به. تأليف عبدالرزاق حسين أحمد، مجلة الوعي الاسلامي، وزارة الأوقاف والشؤن الاسلامية بالكويت ، وهو قد جاء في مقدمة وخمسة مباحث، مشتملاً على تعريف الإظهار والإضمار والعلاقة بينه وبين الخروج على مقتضى الظاهر، والنكت البلاغية لهذا الأسلوب، ولم يذكر الأغراض كاملةً، وأخيراً أبرز المفسرين الذين لهم عناية بإبراز هذا الأسلوب، وقد ذكر أربعةً وهم الزمخشري وأبو السعود والآلوسي، والطاهر بن عاشور، وقد ذكر للأول أربعة أمثلة وكذا للثاني، ومثالين للآلوسي، وثلاثة للطاهر، كلها عبارة عن ذكر لغرض الإظهار دون الكلام عن تفسير الآية أو معناها، كما أن البحث لم يذكر به أي مثالٍ لموضعٍ في سورة التوبة. وعليه فالبحث يشترك مع بحثي في الحديث عن الأسلوب عند البلاغيين – مع الخلاف في العرض والمادة والطرح والاستيفاء للأغراض، وفي بعض العناوين والنقاط الجانبية – ولكن هذا البحث ينفرد عن غيره بذكر أقوال النحويين والمفسرين، والمؤلفين في علوم القرآن في هذا الأسلوب، وموقفهم منه، بشكلٍ مستوفٍ وكامل، ودراسة تفسير أبي السعود، وبيان مكانته، والتعريف بالشيخ أبي السعود، وذلك في مبحث كامل مستقل، مع حصر لآيات سورة التوبة التي اشتملت على هذا الأسلوب جمعاً واستقصاء، في ضوء تفسير أبي السعود، وكذلك إيراد تفسيرها عنده، وعند غيره من العلماء و المفسيرين، وبيان موضع الأسلوب من الآية، وأثرها في تفسير الآية صاحبة موضع الأسلوب.

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن. (٣/٢١٦).

(٢) انظر معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسـمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران). المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) (١/ ٢٧٤). دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان

٣- بحث بعنوان : "وضع الظاهر موضع المضمر في الجلالين"، للدكتور علي جريد العنزي، جامعة الحدود الشمالية. قسم الدراسات الإسلامية، بحث جيد ذكر فيه صاحبه المراد بأسلوب الإوظهار في موضع الإضمار، وفوائده البلاغية، ثم جمع الآيات التي ورد فيها الأسلوب من خلال تفسير الجلالين،ولم يرد فيه إلا موضع واحد في سورة التوبة وهو قوله ﷻ ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾.

## خطة البحث:-

لقد جاء البحث في مقدمة، و ثلاثة مباحث، وخاتمة.

**أما المقدمة:** فتشتمل على أسباب اختياري لهذا التفسير دون غيره من التفاسير التي عنيت ببلاغة أسلوب القرآن الكريم، ومشكلات البحث، والهدف من البحث، والباعث على اختيار الموضوع، والمنهج المتبع في البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

**وأما المباحث:** فهي ثلاثة:

المبحث الأول :ترجمة الشيخ أبي السعود، ومكانة تفسيره.

المطلب الأول: اسمه ونسبه، ومولده .

المطلب الثاني: نشأته، وطلبه للعلم .

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه .

المطلب الرابع: مذهبه وعقيدته.

المطلب الخامس:مؤلفاته، ووفاته .

المطلب السادس: الكتب التي اعتمد عليها أبو السعود، ووصف تفسيره ، وثناء العلماء عليه.

المبحث الثاني: أسلوب " الإظهار في موضع الإضمار"، تعريفه، وكلام العلماء عنه، وفوائده.

المطلب الأول: تعريف" أسلوب الإظهار في موضع الإضمار".

المطلب الثاني: كلام العلماء عن " الإظهار في موضع الإضمار".

المطلب الثالث: فوائد، وأسرار " الإظهار في موضع الإضمار".

المبحث الثالث: مواضع " الإظهار في موضع الإضمار" في سورة التوبة، وأثره في التفسير من خلال تفسير أبي السعود.

المطلب الأول: بين يدي السورة الكريمة.

المطلب الثاني: مواضع" أسلوب الإظهار في موضع الإضمار" في سورة التوبة، وأثره في التفسير من خلال تفسير أبي السعود.

**وأما الخاتمة:** فتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: فهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات.

# المبحث الأول: ترجمة الشيخ أبي السعود، ومكانة تفسيره.

## المطلب الأول: اسمه ونسبه، ومولده .

**أولاً: اسمه ونسبه[1]**

هو: محمد بن محمد بن مصطفى، المولى أبو السعود الْعِمَادِيّ[2] الأفندي المفسر، الأصولي، الشاعر، الحنفي، من علماء الترك المستعربين، فقيه، عارف باللغات العربية والفارسية والتركية، من موالي الروم.

(١) انظر ترجمته كلاً من: ( معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»). المؤلف: عادل نويهض. ( ٦٢٦/٢، ٦٢٧) قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد. الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان. الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م. ( شذرات الذهب في أخبار من ذهب). المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ). (١٠/ ٥٨٤). حققه: محمود الأرناؤوط. خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط. الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت.(معجم المؤلفين). المؤلف: عمر رضا كحالة. (١١/ ٣٠١، ٣٠٢)، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.( الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»). جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي.(٣/ ٢٤١٩). الناشر: مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا.

(٢) الْعِمَادِيّ بكسر العين نسبة إلى العِماد، وقد يكون اسم والد جده مصطفى، أو يكون اسم جده مركباً فيكون مصطفى الْعِمَادِيّ، أما كلمة الأفندي فهي: كلمة تركية عثمانية تُطلق على المثقفين المتعلمين، وهي تعني السيد، وشاعت في البلاد التي خضعت للنفوذ العثماني. انظر: كتاب: شيخ الإسلام أبو السعود أفندي للدكتور/ عصام محمد علي عدوان صـ ٦ – ط: مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الثاني والعشرون ٢٠١١م.

**ثانياً: مولده[1]**

وَقد ولد العلامة أبو السعود فِي ١٧ من شهر صفر سنة سِتّ وَتِسْعين وَثَمَانمِائَة بقرية قريبة من القسطنطينية، وقيل هي قرية المدرس.

## المطلب الثاني: نشأته، وطلبه للعلم، ومكانته العلمية[2] .

الإِمَام الْكَبِير عَالم الروم الذي قد تناهت عَظمته فِي الممالك الرومية وَصَارَ الْمرجع في جَمِيع مَا يتَعَلَّق بِالْعلمِ الْمولى الْأَعْظَم، وهُوَ الدّين وَالدُّنْيَا هُوَ اللَّفْظ وَالْمعْنَى هُوَ الْغَايَة

(١) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٥٨٤)، طبقات المفسرين. المؤلف: أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ).(ص: ٣٩٨). المحقق: سليمان بن صالح الخزي. الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية. سلم الوصول إلى طبقات الفحول. المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ). (١/ ٩٤). المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط. إشراف وتقديم: أكمل الدين.إحسان أوغلي. تدقيق: صالح سعداوي صالح. إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور. الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا.

(٢) انظر في ذلك كلاً من: طبقات المفسرين للأدنه وي (ص: ٣٩٨)، معجم المؤلفين (١١/ ٣٠٢)، التفسير والمفسرون المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ). (١/ ٢٤٥،٢٤٦). الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الأعلام للزركلي. الأعلام. المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ). (٧/ ٥٩). الناشر: دار العلم للملايين، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ). (١/ ٢٦١). الناشر: دار المعرفة – بيروت، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة. المؤلف: نجم الدين محمد بن محمد الغزي (المتوفى: ١٠٦١هـ). (٣/ ٣١، ٣٢). المحقق: خليل المنصور. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، سلم الوصول إلى طبقات الفحول المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ). (١/ ٩٥). المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط. إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي. تدقيق: صالح =

القصوى هُوَ الذرْوَة الْعليا سُلْطَان الْمُفَسّرين مُقَدّمَة جَيش الْمُتَأَخّرين مفتي الْأَنَام مفني الْبدع والآثام، نشأ- رحمه الله- في بيت عُرف أهله بالعلم والفضل حتى قال بعضهم فيه: تَربَّى في حجر العلم حتى رَبَى، وارتضع ثدي الفضل إلى أن ترعرع وحَبَا، ولا زال يخدم العلوم الشريفة حتى رحب باعه، وامتد ساعده واشتد اتساعه".

ووالده كان من أهل العلم والصلاح كذا قيل، وتربى أبو السعود في حجر والده، وقرأ كثيراً من كتب العلم عليه، وحفظ كتبًا منها المفتاح للسكاكي، وقَرَأَ حَاشِيَة التَّجْرِيد وَشرح الْمِفْتَاح وَشرح المواقف من أَوله إِلَى آخِره على أَبِيه، وتتلمذ لكثير من جلَّة العلماء، فاستفاد منهم علما جمّاً، وامتاز بفصاحة العرب العرباء، واشتغل بفنون الأدب، ثم طارت سمعته، وفاضت شهرته، وعظم صيته، وتولى التدريس في كثير من المدارس التركية، ودخل إلى القضاء وأخذ عن جماعة من علماء عصره وانتهت إليه رياسة التدريس والفتيا، فقام بها خير قيام بعد أن اضطرب أمرها بانتقالها من يد إلى يد، وكان ذلك سنة ٩٥٢ هـ (اثنتين وخمسين وتسعمائة من الهجرة)، ومكث في منصب الإفتاء نحواً من ثلاثين سنة أظهر فيها الدقة العلمية التامة، والبراعة في الفتوى والتفنن فيها، وَكَانَ قد تناهت عَظمته فِي الممالك الرومية وَصَارَ الْمرجع في جَمِيع مَا يتَعَلَّق بِالْعلمِ، الإمامَ العلامة، المحققَ المدققَ الفهامة، العلمَ الراسخ، والطودَ الشامخ، مفتي التخت السلطاني أعظمَ موالي الروم، وأفضلهم لم يكن له نظير في زمانه في العلم، والرئاسة، والديانة أخذ عن علماء عصره، وكان حاضر الذهن سريع البديهة كتب الجواب مرارا في يوم واحد على ألف رقعة باللغات العربية والفارسية والتركية، تبعا لما يكتبه السائل، فإن كان السؤال منظوماً، كان الجواب منظوماً كذلك، مع الاتفاق بينهما في الوزن والقافية، وإن كان

---

سعداوي صالح. الفوائد البهية في تراجم الحنفية المؤلف: أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي. (ص: ٨١، ٨٢). عنى بتصـــحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني. الناشر: طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر – لصاحبها محمد إسماعيل.

السؤال نثراً مسجعاً، كان الجواب مثله، و روي أنه ربما أفتى من الفجر إلى المغرب فبلغ ما كتبه من الفجر إلى المغرب إلى خمسمائة وألف، وكان عالماً عاملاً، وإماماً كاملاً شديد التحري في فتاويه حسن الكتابة عليها، سالم الفطنة جيد القريحة، لطيف العبارة، حلو النادرة، سئل عن شخص لا هو مريض، ولا صحيح ولا حي، ولا ميت، ولا عاقل، ولا مجنون، ولا نائم، ولا يقظان، فأجاب بقوله إن كان لهذا وجود فهو الترياقي، وسئل عن شرب القهوة قبل أن يكمل اشتهارها بعدما قرر له اجتماع الفسقة على شربها، فأجاب بقوله ما أكب أهل الفجور على تعاطيه، فينبغي أن يجتنبه من يخشى الله، ويتقيه، وهذا ليس فيه تصريح بتحريمها، بل يقتضي أن الأولى تركها حذراً من التشبه بالفجار، وهكذا مما يشهد للرجل بسعة أُفقه وغزارة مادته، وأنه شيخ كبير وعالم نحرير لافي العجم له مثيل، ولا في العرب له نظير.

وقد انتهت إليه رياسة الحنفية في زمانه، وبقى مدة العمر في الجلالة وعلو الشأن، وكان يجتهد في بعض المسائل ويخرج ويرجح بعض الدلائل وله في الأصول والفروع قوة كاملة وقدرة شاملة وفضيلة تامة وإحاطة عامة، وكان – رحمه الله – كما قيل عنه من الذين قعدوا من الفضائل والمعارف على سنامها وغاربها، وسارت بذكره الركبان في مشارق الأرض ومغاربها، ولقد حاز قصب السبق بين أقرانه، ولم يقدر أحد أن يجاريه في ميدانه، ولقد كان اشتغاله بالتدريس وتنقله بين كثير من المدارس وتوليه للقضاء ثم الفتوى سبباً عاتقاً له عن التفرغ والتصنيف والتأليف.

## المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه:

**أولاً: شيوخه[١]:**

إن الشيخ له مشايخ كثر، استفاد منهم علما جمّاً، ولعل من أبرزهم:

١- يعد والده من أهم وأبرز شيوخه، فقد قرأ عليه كثيراً، وحفظ كتبًا منها المفتاح للسكاكي، وقرأ من جملة ما قرأه عليه «حاشية التجريد» للشريف الجرجاني بتمامها، و «شرح المفتاح» للشريف أيضا قرأه عليه مرتين، و «شرح المواقف» له أيضا، بتمامها.

٢- المولى سعدي جلبي[٢]. فقد لازمه، - لعله سيدي جلبي محي الدين محمد بن محمد القوجاوي[٣].

٣- المولى عبد الرحمن بن المؤيد الأماسي الشهير بمؤيد زادة[٤] تلميذ الجلال

---

(١) انظر في ذلك: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (٢/ ٦٢٦)، الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص: ٨١، ٨٢)، شيخ الإسلام أبو السعود أفندي للدكتور/ عصام محمد علي عدوان صـ ٧، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٥٨٤)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/ ٩٤)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٣/ ٢٤١٨).

(٢) سعدي جلبي بن عيسى بن أميرخان الفاضل المحقق مفتي السلطنة الحنفي، مؤلف حاشية البيضاوي، وشرح الهداية وغيرهما. توفي سنة ٩٤٥هـ.( ديوان الإسلام المؤلف: شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (المتوفى: ١١٦٧هـ). (٣/ ٥).المحقق: سيد كسروي حسن.الناشردار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ) وقيل: مات سعدي جلبي سعدى جلبي سنة ٩٤٤هـ، انظر ( الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص: ٢١٢)).

(٣) شيخ الإسلام أبو السعود أفندي للدكتور/ عصام محمد علي عدوان صـ ٧

(٤) هو عبد الرحمن بن علي ابن مؤيد الاماسى الشهير بمؤيد زاده، ولد بماسية سنة ستين وثمانمائة وصحب فى شبابه السلطان بايزيد خان ووشي به المفسدون إلى أبيه محمد خان فأمر بقتله فأخرجه بايزيد خان خفية إلى البلاد الحلبية فارتحل منها إلى بلاد العجم ولما جلس السلطان =

الدواني[1] تلميذ السيد الشريف الذي درس له أبو السعود حاشية التجريد وشرح المفتاح.

**ثانياً: تلاميذه:**

ليس بالأمر المستغرب، أو الشيء المستعجب، أن للشيخ تلاميذ كثر، وهؤلاء بعض من أشهرهم:-

١- ابنه المولى محمّد المعروف بالسعودي قاضي دمشق الشَّام ثم حلب، وكان من محَاسِن الْعَصْر ونوادر الدَّهْر فِي شدَّة ذكائه وصفاء ذهنه ونقائه يتلألأ من جَبينه آثَار النجابة ويلوح من وجناته أنوار السِّيَادَة وَكَانَ رَحمَه الله عَالما أديبا ومخدوما لبيبا لَهُ اطلَاع على المعارف والتواريخ، وَكَانَ لَهُ معرفَة تَامَّة بأحوال الْخط وَقد جمع الْكثير من خطوط السّلف بذل فِيهِ أموالاً عَظِيمَة، وَكَانَ يكْتب خطاً مليحاً فِي الْغَايَة، وَكَانَ لَهُ اطلَاع عَظِيم على قَوَاعِد اللِّسَان الْفَارِسِي حَتَّى بلغ إلى أنه نظم الشّعْر الْفَارِسِي على أبلغ النظام، ومات سنة إحدى وَسبعين وَتِسْعمِائَة وَمَا أناف عمره على أربعين سنة.

٢- شمس الدّين أَحْمَد ابْن أبي السُّعُود، وهو ابنه أيضاً، اجْتهد فِي إحراز الْفَضَائِل والمعارف، وإتقان النَّوَادِر واللطائف، واستضاء هلاله من شمس أبيه فَصَارَ بَدْرًا، واستمد نهره من سواكب مزنه فَأَصْبح بحراً، وَحصل المعارف الجليلة فِي الأزمنة القليلة، وَوصل

---

بايزيد خان علي السرير عاد إلى بلاد الروم وفوض إليه مناصب التدريس والقضاء وغير ذلك في عهده وفي عهد سليم خان ومات في شعبان سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وله رسالة أورد فيها مواضع مشكلة من الكلام ورسالة في حل الشبهة العامة الورود وغير ذلك من الرسائل التى بقيت في المسودة. انظر: (الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص: ٨٩- ٩١).

(١) هو محمد بن أسعد الدوانى الصديق الشافعي له قدم راسخ في العلوم العقلية ومشاركة في العلوم الشرعية تصانيفه دلت على أنه البحر بلا منازع، له حواش على شرح التجريد للقوشجى القديمة والجديدة، وصار في أكثر المباحث هو الصدر وحواش أخر، وله رسالة في إيمان فرعون قد رد عليها عليّ القاري المكي في رسالة سماها فرَّ العون من مدعى إيمان فرعون ورسالة مسماة بأنموذج العلوم أورد فيها مسائل معركة الآراء من علوم مختلفة وفنون متفرقة، وكانت وفاته بقرية دوان سنة ٩٠٨ وبلغ عمره إلى ثمانين. انظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص: ٨٩، ٩٠).

إلى فنون عدَّة فِي أدنى مُدَّة، وَبِالْجُمْلَةِ لما كَانَت مرْآة طبعه مجلوة أصبحت صور فَضَائِل أبيه فِيهَا مخبوة، واشتغل أيضا على الْمولى طاشكبري زَاده[1] ثمَّ صَار معيد الدَّرْس لأبيه وأكمل كل مَا يهمه فشرع فِي إلقاء الدُّرُوس وسنه إذ ذَاك سَبْعَة عشر، ومات فِي شهر جُمَادَى الأولى من سنة سبعين وَتِسْعمِائَة وَمَا بلغ عمره ثَلَاثِينَ سنة.

٣- أحمد بن حسن بن عبد المحسن الرومي، وكان قد ولي قبل قضاء العسكر، وقضاء الشام مرتين، وقضاء مصر، وقضاء مكة، وقضاء القسطنطينية، وحاز من الجاه والتقدم والمروءة والكرم، ما فاق بسببه أبناء جنسه، وكان فيه يومه أحسن من أمسه، وقد مدحه شعراء الديار الشامية، والمصرية، والرومية، بقصائد طنانة، وبالغوا في مدحه وشكره؛ فإنه كان - رحمه الله تعالى - ملجأ لكل قاصد، ومقصداً لكل وارد، ولد في حدود الستين من المائة العاشرة، وأخذ الفقه وغيره، عن الإمام أبي السعود العمادي، مفتي الديار الرومية، وكان معيداً عنده بمدرسة السلطان بايزيد خان[2]

(١) طاشْكُبْري زَادَهْ هو: أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين طاشكبري زاده، مؤرخ، تركي الأصل، ولد سنة ( ٩٠١هـ)، وتأدب وتفقه، وتنقل في البلاد التركية مدرّسا للفقه والحديث وعلوم العربية، وولي القضاء بالقسطنطينية سنة ٩٥٨هـ . من مصنفاته: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، مفتاح السعادة، وغيرهما .مات سنة (٩٦٨هـ) . الأعلام للزركلي١/٢٥٧.

(٢) الكلام عن تلاميذه مستفاد من مطالعة المصادر الآتية: انظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٣/ ٢٤١٨)، الشقائق النعمانيه في علماء الدوله العثمانيه (ص: ٣٥٤، ٣٥٥،٣٦٥)، الطبقات السنية في تراجم الحنفية. المؤلف: تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي (المتوفى: ١٠١٠هـ). (ص: ٩٨، بترقيم الشاملة آليا، وهو غير موافق للمطبوع.

## المطلب الرابع: مذهبه وعقيدته.

**أولاً: مذهبه الفقهي**(١)

الإمام أبو السعود–رحمه الله– حنفي المذهب، وهذا غالب أهل السلطنة العثمانية، بل هو من عظماء فقهاء المذهب الحنفي، وقد صرح بذلك في أكثر من موضع، مثل قوله عند تفسير آية كفارة اليمين في سورة المائدة(٢) (﴿ثلاثة أَيَّامٍ﴾ والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلاثة أيام متتابعات والشافعي– رضي الله عنه– لا يرى الشواذ حجة)(٣).فيعني بقوله (عندنا) السادة الحنفية، فمن المعلوم أنهم يشترطون التتابع في الصيام، احتجاجاً بقراءة ابن مسعود الشاذة، خلافاً للشافعي.

**ثانياً: عقيدته**(٤)

وأما عقيدته فهو أشعري أو ماتريدي أو أشعري ماتريدي، فهو يقول بالمجاز، ويؤول الصفات، بل قد صرح بذلك في أكثر من موضع في تفسيره، حيث يقول: (وعند أصحابنا) ثم يذكر كلام الأشعرية أو الماتريدية في التأويل للصفات، فهو على طريقة المؤلة، وهذه عادة كثير من "الأتراك الحنفيين، فإنهم يجمدون على المذهب، وعلى العقيدة الأشعرية أو الماتريدية، و القول بالمجاز في القرآن من أسس منهج الماتريدية، ولعل هذا يرجح أنه العمادي ماتريدي وليس أشعري .

---

(١) انظر كلاً من: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٢٤١٨،٢٤٢٠/٣)، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (٢/ ٦٢٥).

(٢) قوله ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغوِ فِيٓ أَيمَٰنِكُم وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلأَيمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوسَطِ مَا تُطعِمُونَ أَهلِيكُم أَوۡ كِسوَتُهُم أَوۡ تَحرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّم يَجِد فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيمَٰنِكُم إِذَا حَلَفتُمۡۚ وَٱحفَظُوٓاْ أَيمَٰنَكُمۡ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُم ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ ٨٩﴾.

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/ ٧٥)

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٢٤١٩،٢٤٢٠،٢٤٢١/٣)

هذه بعض المواضع المأخوذة من تفسيره والتي توضح عقيدته الأشعرية أو الماتريدية:

١- قوله عند قوله ﷻ من سورة الملك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾، (والموتُ عندَ أصحابِنَا صفةٌ وجُوديةٌ مضادةٌ للحياةِ)[١]

٢- قوله عند تفسيره لقوله ﷻ من سورة الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾، (وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله- تعالى- بلا كيف والمعنى أنه تعالى استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزهاً عن الاستقرار والتمكن)[٢]، والأمثلة على ذلك من تفسيره كثيرة[٣]، وكلها تبين أن الشيخ كان على مذهب الأشعرية أو الماتريدية، كما تقدم.

وعموماً فالرجل سني يدافع عن عقيدته سائراً على نهج السلف غير غافل عن طريقة الخلف، وقدوافق الأشاعرة والماتريدية في جميع أقوالهم ولم يخرج عن هذا الرأي ، وليس ثمة فرق بين الأشاعرة والماتريدية على التحقيق، وما بينهما من فروق إن وجدت فهي لفظية، أو في أدق الفروع أو فروع الفروع، وليس في تفسير الشيخ ما يمكن أن يقطع بأنه ماتريدي فقط، أو أشعري فقط إن أحببنا أن نفرق بينهما، ففي كتابه ما يدل على أنه على العقيدتين أو هما واحد كما تقدم، وهذه أمثلة أخرى تبرهن أن الشيخ كان على طريق الأشعرية والماتريدية:

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩/ ٢)

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/ ٢٣٢).

(٣) انظر المصدر السابق: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ١١)، (٦/ ٥)، (٩/ ١٥٧)، (٣/ ٥٨)

١- (﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٨]. أي كلٌ واحدةٍ من النعمة والبليةِ من جهة الله تعالى خلقاً وإيجاداً)[١]

٢- قوله في رؤية الله ﷻ عند تفسير قوله ﷻ في سورة القيامة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾}، (ومَعْنى كونِها ناظرةً إلى ربِّها أنَّها تراهُ تعالَى مستغرقةً في مطالعةِ جمالِه بحيثُ تغفلُ عَمَّا سواه وتشاهد تعالَى بلا كيفٍ ولا على جهةٍ)[٢]

٣- وقال في تأويل اليد في قوله ﷻ في سورة الذاريات (الآية: ٤٧)، (﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ} أيْ بقوةٍ)[٣]

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢/ ٢٠٥)ـــ وانظر ايضا في مثل هذه التأيل(١/ ٢١٣)، (٨/ ١٠٣)

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩/ ٦٧)

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ ١٤٢)

## المطلب الخامس: مؤلفاته، ووفاته .

**أولاً: مؤلفاته[1]:**

ولقد كان اشتغاله بالتدريس وتنقله بين كثير من المدارس وتوليه للقضاء ثم الفتوى سبباً عائقاً له عن التفرغ والتصنيف والتأليف، ولذا لم يترك الشيخ لنا كثيراً من المؤلفات على طول عمره، ومكثه في الدنيا، ومع ذلك فقد كان يختلس فرصاً من وقته فصرفها إلى التأليف، فترك لنا تراثاً عظيماً في شتى العلوم، أغلبها أو كلها مخطوطات، ما خلا تفسيره المسمى: " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" فإنه مطبوع، وهو من أجلّ التفاسير، له فيه طريقة عالية في العرض، وسيأتي الحديث عن هذا الكتاب بمزيد من التفصيل إن شاء الله ﷻ.

وله مؤلفات عديدة غير هذا الكتاب منها:

١- حاشية على تفسير الكشاف بلغَهَا إِلَى آخر سُورَة الْفَتْح وَكَانَت تقْرَأ عقيب درس التَّفْسِير وسماها معاقد النّظر.

٢- حاشية على العناية من أول كتاب البيع من الهداية. ٣- بضاعة القاضي في الصكوك

٤- تهافت الامجاد في فروع الفقه الحنفي. ٥- القصيدة ٦- تحفة الطلاب في المناظرة، وهو مخطوط. ٧- قصة هاروت وماروت، وهو مخطوط.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون (١/ ٢٤٦)، معجم المؤلفين (١١/ ٣٠٢)، طبقات المفسرين للأدنه وي (ص: ٣٩٩)، وَالأعلام للزركلي (٧/ ٥٩)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٣/ ٢٤٢٢)، ذيل وفيات الأعيان المسمى «درّة الحجال فى أسماء الرّجال». المؤلف: أبو العبّاس أحمد بن محمّد المكناسى الشّهير بابن القاضى (٩٦٠ - ١٠٢٥ هـ). (٣/ ٣٠٥). المحقق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور. الناشر: دار التراث (القاهرة) المكتبة العتيقة (تونس). الطبعة: الأولى، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م

٨- رسالة في المسح على الخفين، وهو مخطوط. ٩- رسالة في مسائل الوقوف، وهو مخطوط. ١٠- رسالة في تسجيل الأوقاف، وهو مخطوط

١١- له شرح على «ألفية ابن مالك» ١٢- وله شعر جيد.

**ثانياً: وفاته:**

لقد عاش الإمام حياة عامرة بالعلم والفتوى الصحيحة القائمة على كتاب الله وسنة رسوله – عليه الصلاة والسلام – حياة مملوءةً بالاجتهاد والنشاط، والمعاملة الطيبة الصالحة مع الخَلْق، ثم بعد ذلك وافته المنية بالقسطنطينية في الثلث الأخير من ليلة الأحد خامس جمادى الأولى، في سنة ٩٨٢ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَتِسْعمِائَة، وكانت جنازته حافلة وصلي عليه في حرم جامع السلطان محمد الكبير في ملأ عظيم، وجمع كثير، وتقدم للصلاة عليه فخر الموالي سنان[١]، ودفن بمقبرته التي أنشأها بالقرب من تربة سيدي أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه[٢]

(١) المولى سنان هو: يوسف بن حسام الدين بن إلياس الأماسي، المعروف بالمولى وبالواعظ سنان، قاض، مفسر من فقهاء الحنفية، ولد سنة (٨٩٣ هـ) من مصنفاته: حاشية على تفسير البيضاوي، تنبيه الغبي في رؤية النبي. مات سنة (٩٨٦هـ).انظر: الأعلام للزركلي٨/٢٤١ .

(٢) انظر في ذلك: معجم المؤلفين (١١/ ٣٠٢)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/ ٢٦١)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (٣/ ٣٣)، طبقات المفسرين للأدنه وي (ص: ٣٩٩)

## المطلب السادس: الكتب التي اعتمد عليها أبو السعود، ووصف تفسيره، وثناء العلماء عليه، وبعض حواشيه[1]

**أولاً: الكتب التي اعتمد عليها الشيخ أبو السعود في تفسيره، ووصف العلماء لهذا التفسير:-**

**- الكتب التي اعتمد عليها الشيخ:-**

كانت لأبي السعود شخصية اجتماعية ممتازة، وكان يتحلى بإيمان قوي، وروح طيبة واستمساك صادق بعرى الدين، شُغل كثيراً بالتدريس والقضاء والفتوى، ولكنه اختلس فرصاً من وقته ألَّف فيها كتابه في التفسير، والمؤلف نفسه يقرر هذا في مقدمة تفسيره[2]، ولم يُعرف أنه أخرج تفسيره للناس دفعة واحدة، بل ذكروا أنه ابتدأ فيه، فلما وصل إلى آخر سورة (ص) عرض له من الشواغل ما جعله يقف في تفسيره عند هذا الحد، فبيَّض ما كتب في شعبان سنة ٩٧٣هـ (ثلاث وسبعين وتسعمائة من الهجرة) ثم أرسله إلى الباب العالي، فتلقاه السلطان سليمان خان بحسن القبول، وأنعم عليه بما أنعم، وزاد في وظيفته كل يوم خمسمائة درهم، ثم تيَّسر له بعد ذلك إتمامه، فأتمه بعد سنة، ثم أرسله إلى السلطان ثانياً بعد إتمامه، فقابله السلطان بمزيد لطفه وإنعامه، وزاد في وظيفته مرة أخرى.

وصنف تفسيره الذي سماه" إرشاد الْعقل السَّلِيم إِلَى مزايا الْقُرْآن الْعَظِيم" وَكَانَ تَفْسِيره من أَمْثَال الْكَشَّاف والبيضاوي من أكمل التفاسير، بل هو نسخة ثانية كمدارك النسفي

---

(١) انظر في ذلك: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (٢/ ٦٢٦)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/ ٩٤)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٣/٢٤٢٠، ٢٤١٨، ٢٤٢٢)، الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص: ٨٢)، طبقات المفسرين للأدنه وي (ص: ٣٩٨)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (٣/ ٣١)، التفسير والمفسرون (١/ ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١/٥ -٦

لكشاف الزمخشري في غير الاعتزال، ومن هنا تبين لنا، أن أبا السعود اعتمد في تفسيره على تفسير الكشاف والبيضاوى وغيرهما ممن تقدمه، غير أنه لم يغتر بما جاء في الكشاف من الاعتزالات. ولهذا لم يذكرها إلا على جهة التحذير منها، مع جريانه على مذهب أهل السُّنَّة في تفسيره، ولكن نجده قد وقع فيما وقع فيه صاحب الكشاف، وصاحب أنوار التنزيل من أنه ذكر في آخر كل سورة حديثاً عن النبى ﷺ في فضلها، وما لقارئها من الثواب والأجر عند الله، مع أن هذه الأحاديث موضوعة باتفاق أهل العلم جميعاً.

فلقد جمع فيه ما في تفسير البيضاوي، وزاد فيه زيادات حسنة من تفسير القرطبي، والثعلبي والواحدي، والبغوي، وغيرها.

نعم اعتمد العلامة أبو السعود في كتابه هذا على كتابي : تفسير الكشاف، وتفسير البيضاوي، بشكلٍ رئيس، وقد أثنى هو بنفسه على هذين الكتابين عندما ذكر كتب المتأخرين في التفسير فقال(لا سيما الكشاف وأنوار التنزيل المتفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل، فإنَّ كلا منهما قد أحرز قصب السبق أيُّ إحراز كأنه مرآة لاجتلاء وجه الإعجاز صحائفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان[1]وقلائد العقبان[2]ولقد كان في سوابق الأيام وسوالف الدهور والأعوام أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهار أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق، وأضيف إليهما ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في

(١) الجمان هو: حَبٌّ يُتَّخذ مِنِ الْفِضَّـــةِ أَمثال اللُّؤْلُؤِ . لســـان العرب لابن منظور – باب النون – فصل الجيم – مادة ج م ن –٩٢/١٣ – ط: دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .

(٢) العُقاب: العَلَم الضَّـخم . والعُقاب: اللِّواء الذي يُعقَد للوُلاة، شُـبِّه بالعقاب الطَّائر . قال: والعقاب: الصَّـخرة العظيمة في عُرض الجبل . انظر: تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصـــور (المتوفى: ٣٧٠هـــــ). بـاب العين والقـاف مع البـاء – مـادة ع ق ب – ١٨٣/١.المحقق: محمد عوض مرعب. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق، وأسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق أنيق وأسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل، ويستدعيه جزالة نظمه الجليل الخ ما ذكر)[١]

فالذي يظهر من خلال هذا الكلام أنه قرأ هذين الكتابين قبل أن يؤلف كتابه، لذا نجد تشابهاً كبيراً بين كلامه والكلام الذي في الكتابين.

وبالجملة هو تفسير حسن ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، متضمن لطائف ونكات، ومشتمل على فوائد وإشارات.

اشتهر صيته وانتشرت نسخه في الأقطار، ووقع التلقي بالقبول من الفحول والكبار، لحسن سبكه ولطافة تعبيره، فصار يقال له خطيب المفسرين. ومن المعلوم أن تفسير أحد سواه بعد الكشاف والقاضي (أنوار التنزيل) لم يبلغ إلى ما بلغ من رتبة الاعتبار والإشهار، والحق أنه حقيق به.

- **أهم مميزات هذا التفسير[٢]:-**

كثيراً ما يهتم الشيخ بإبداء وجوه المناسبات بين الآيات، كما أنه يعرض أحياناً لذكر القراءات، ولكن بقدر ما يوضح به المعنى، دون توسعٍ كغيره، ومن ناحية الإسرائيليات فهو مقل في سردها، وإن ذكرها أحياناً فإنه لا يذكرها على سبيل الجزم بصحتها، بل يُصَدِّر ذكر الرواية ، بما يُشعر ويشير إلى ضعفها، كقوله روى، أو قيل [٣].

وأما عن المسائل الفقهية، فهو يعرضها، ولكنه مُقِلٌ جداً، ولا يكاد يدخل في المناقشات الفقهية والأدلة المذهبية، يسرد المذاهب في الآية ولا يزيد على ذلك[٤].

---

(١) تفسير أبي السعود ٤/١ .

(٢) وللتوسع في ذلك انظر التفسير والمفسرون (١/ ٢٥٠-٢٤٨).

(٣) مثال ذلك، انظر تفسير ابي السعود، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢٨٤)

(٤) انظر المصدر السابق تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ٢٢٤)

وأما عن الناحية النحوية فهو يعرض لها إذا كانت الآية تحتمل أوجهاً من الإعراب، ويُنزل الآية على اختلاف الأعاريب، ويُرَجِّح واحداً منها ويدلل على رجحانه. وأما الذي امتاز بها هذا التفسير ، وهو عنايته بالكشف عن بلاغة القرآن وسر إعجازه، فهو كثير العناية بسبك العبارة وصوغها، مولع كل الولوع بالناحية البلاغية للقرآن، فهو يهتم بأن يكشف عن نواحى القرآن البلاغية، وسر إعجازه في نظمه وأسلوبه، وبخاصة في باب الفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، والتقديم والتأخير، والاعتراض والتذييل، كما أنه يهتم بإبداء المعانى الدقيقة التى تحملها التراكيب القرآنية بين طيَّاتها، مما لا يكاد يظهر إلا لمن أوتى حظاً وافراً من المعرفة بدقائق اللغة العربية، ويكاد يكون صاحبنا هو أول المفسِّرين المبرزين في هذه الناحية.

وعلى الجملة.. فالكتاب دقيق غاية الدقة، بعيد عن خلط التفسير بما لا يتصل به، غير مُسرف فيما يضطر إليه من التكلم عن بعض النواحى العلمية، وهو مرجع مهم يعتمد عليه كثير ممن جاء بعده من المفسِّرين، وقد طُبع هذا التفسير مراراً.

**ثانياً: ثناء العلماء عليه:-**

بالإضافة إلى ما تقدم ذكره، وقد اشتمل جانباً بارزاً من كلام العلماء والمترجمين عن تفسير أبي السعود، وثنائهم عليه، إلا أنني تحت هذا العنوان الجانبي أسرد بعضاً من ثناء العلماء المتأخرين على هذا التفسير، وذلك من خلالِ مؤلفاتهم التي من خلالها درسوا هذا التفسير وغيره.

وقد أثنى العلماء عليه كثير الثناء، يقول الشيخ/ محمد عبدالعظيم الزُّرْقاني : (تفسير أبي السعود: تفسير رائع ممتاز، يستهويك حسن تعبيره، ويروقك سلامة تفكيره، ويروعك ما أخذ نفسه به من تجلية بلاغة القرآن، والعناية بهذه الناحية المهمة في بيان

إعجازه, مع سلامة في الذوق، وتوفيق في التطبيق، ومحافظة على عقائد أهل السنة، وبعد عن الحشو والتطويل)[١]

ويقول الإمام محمد أبو شهبة: (إنه خال من الإستطرادات والتوسع في ذكر الأحكام الفقهية والنحوية، ويكاد يكون خالصاً للتفسير، وقد عني فيه عناية بالغة بإبراز وجوه البلاغة وأسرار الإعجاز في القرآن الكريم، ولا سيما في باب الفصل والوصل، ووجوه المناسبات بين الآيات،.....، عباراته وأساليبه في تفسيره فيها شيء كثير من العمق والدقة)[٢]

و يقول الدكتور عبدالمنعم النمر: (هذا التفسير يمتاز بحسن الصياغة والكشف عن أسرار البلاغة القرآنية، وأسلوبه يحتاج إلى تَأَنّ في فهمه ودقة في قراءته)[٣]

**بعض الحواشي على تفسير أبي السعود**[٤]

إن هذا الكتاب من أجل التفاسير وأحسنِها وأكثرها تحقيقًا وتدقيقاً، ومع ذلك فهو كغيره من التفاسير لم يظفر بكثرة الحواشي والتعليقات التي تكشف عن مراده، إلاّ القليل النادر من الحواشي والتعليقات ومنها:

- تعليقات الشيخ/ يوسف بن أبي اللطف المقدسي (رضي الدين)، توفي سنة (١٠٢٨ هـ)، وهي في: مجلد ضخم.

أوله: (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ... الخ) .علقها: في درسه عند الصخرة، إلى: آخر الأنعام.

---

(١) **مناهل العرفان في علوم القرآن. المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ). (٦٧،٦٨/٢). الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. الطبعة: الطبعة الثالثة**

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للإمام محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة١٤٣/١- ط: مكتبة السنة، الطبعةالرابعة . مع تصرف يسير في النقل.

(٣) علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر للدكتور /عبدالمنعم النمر ١٠١/١- ط: دار الكتب الإسلامية - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م .

(٤) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة - ( ١/ ١٩٣) ط: مكتبة المثنى - بغداد، سنة ١٩٤١م، معجم المؤلفين ( ٩٧/٤، ٩٨)، (٧/ ٢٩٦)، ( ٣٢٦/١٣)، التفسير والمفسرون للذهبي٢٤٧/١ .، الأعلام للزركلي (٥٤/١، ٢٣٧، ٢٣٨)، ( ٢٧٥/٢)، (١٣٢/٦).

- حاشية/ عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمود العرضي، المعروف بـ عمر العرضي (ت سنة ١٠٢٤ هـ).
- حاشية الشيخ/ أحمد الرومي، الأقحصاري (ت سنة ١٠٤١هـ) من أول سورة الروم إلى سورة الدخان.
- حاشية خالد بن محمد بن عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمود بن علي الحلبي، المعروف بالعُرضي الحلبي (ت بعد ١١١٥هـ)، في أوائل سورة الأعراف.
- حاشية/ محمد بن عبد الله زيتونة المنستيري التونسي (ت سنة ١١٣٨هـ)، جاوز بها نصف التفسير تقريباً في ستة عشر جزءاً.
- حاشية حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن عبد الرحمن السلمي، الشهير بابن الحاج السلمي (ت سنة ١٢٣٢هـ)
- حاشية الشيخ/ إبراهيم بن علي بن حسن السقا، ت سنة ١٢٩٨هـ)، وصل فيها إلى سورة الأنبياء ولم يتمها،ومنها ستة أجزاء مخطوطة في الأزهرية
- حاشية للشيخ/ رضي الدين بن يوسف المقدسي، إلى نصف القرآن، وأهداها إلى المولى أسعد بن سعد الدين، لما دخل المقدس زائراً، وودأب دأبه فيها على نقل كلام العلامتين الزمخشرى والبيضاوى، وكلام العلامة "أبى السعود"، وكان يعبر عنهم بقوله: قال الكشاف، وقال القاضى، وقال المفتى، ثم يقوم بالمحاكمة فيما بينهم.
- حاشية الشيخ/ أحمد بن محمد بن عليّ، شِهاب الدين الغنيمي الأنصاري الخزرجي، المتوفى (١٠٤٤ هـ =١٦٣٥ م)، واسمها (حاشية الغنيمي في الفسير)، وهي مخطوطة، جمع فيها تفاسير البيضاوي والزمخشريّ وأبي السعود

هذه نبذة عن كتاب تفسير أبي السعود، وقيمته العلمية، ومكانته بين التفاسير، وما فيه من ميزات ، وصورة من ثناء العلماء عليه، الكتب التي اعتمد عليها الشيخ في تفسيره، وبعض الحواشي والتعليقات على هذا الكتاب، مما يبين لنا قيمة هذا الكتاب العلمية التفسيرية البلاغية، ويبين منهج الشيخ أبي السعود– رحمه الله تعالى– في تأليفه للكتاب.

## المبحث الثاني: أسلوب " الإظهار في موضع الإضمار"، تعريفه، وكلام العلماء عنه، وفوائده.

### المطلب الأول: تعريف" أسلوب الإظهار في موضع الإضمار".

لتعريف هذا المصطلح لابد من تعريف كلٍ من " الإظهار" و " الإضمار" على حده، ثم تعريف المصطلح المؤلف من مجموعهما.

**أولاً: تعريف الإظهار لغة، واصطلاحاً:-**

**الإظهار لغةً:**

الإظهار، الظهور، والظاهر ، والمظهر، كلها ألفاظ تدل على معنى واحدٍ أو معانٍ متقاربة، وهي مشتقة من ظهَرَ على، ظهَرَ عن، يَظهَر، ظُهُورًا، فهو ظاهِر، والمفعول مظهور، أو من أظهرَ يُظهر، إظهارًا، فهو مُظهِر، والمفعول مُظهَر.

يقول ابن فارس ((ظَهَرَ) الظَّاءُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ)[1]

وكلها ألفاظ تدل على هذه المعاني: الوضوح، وخلاف الباطن، والبروز بعد الخفاء والانكشاف، والتبيان، والقوة، ، ومنه سمي وقت الظهيرة لبروزه وانكشافه، فَهُوَ أَظْهَرُ أَوْقَاتِ النَّهَارِ وَأَضْوَؤُهَا، وسميت الْعَيْنُ الْجَاحِظَةُ الظَّاهِرَةُ، لبروزها عن موضعها الطبيعي، والغلبة، ومنه قوله ﷻ ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ [الصف: ١٤]، وَظَهَرَ عَلَى فُلَانٍ: غَلَبَهُ، وبمعنى البُدُّو، أي الظهور، ومنه ظهَر الشَّيءُ: بدا واتَّضح بعد خفاء، والافتضاح، ومنه ظهَر على حقيقته: انكشف أمره، وافتُضح، والعلو، ومنه ظهر الشَّيْء عَلى الْحَائِط وَنَحْوه:علاهُ[2]

---

(١) مقاييس اللغة. لابن فارس. [بَابُ الظَّاءِ وَالْهَاءِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا].(٣/ ٤٧١).

(٢) كل هذا الكلام في تعريف الإظهار لغة، مستفاد من مطالعة كل من: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر =

مما سبق نخلص إلى أمرين، أحدهما: أن (الظَّاهِرُ ضِدُّ الْبَاطِنِ)[١]، وهو (الواضح)[٢]، والبارز، والظاهر هو الغالب أيضاً.

والثاني: أن الأصل في الكلام والجمل الإظهار، فهو الأظهر للمعنى، وهو الغالب في الكلام، الأقوى في الوضوح، ولذلك من معانيه في اللغة، كما تقدم القوة، والغلبة، والعلو[٣]

---

الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ). (٢/ ١١٤٤). تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم. تحقيق: د. علي دحروج. نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي. الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني. الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت. الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م.، معجم اللغة العربية المعاصرة. المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل. (٢/ ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣). الناشر: عالم الكتب. الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، لسان العرب. المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ). (٤/ ٥٢٣). الناشر: دار صادر – بيروت. الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ). (٢/ ٣٨٧). الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.، [مختار الصحاح]ـــالمؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ). (ص: ١٩٧). المحقق: يوسف الشيخ محمد. الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا. الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م . المعجم الوسيط. المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار). (٢/ ٥٧٨). الناشر: دار الدعوة، معجم مقاييس اللغة. المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ). [بَابُ الظَّاءِ وَالْهَاءِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا]. (٣/ ٤٧١). المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر. عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(١) مختار الصحاح (ص: ١٩٧).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٢/ ١١٤٤)

(٣) انظر هذه المعاني: لسان العرب (٤/ ٥٢٦)

**الإظهار اصطلاحاً:**

الإظهار له معانٍ مختلفةٍ باعتبار كل فن، فمعناه عند علماء التجويد غير معناه عند علماء النحو، غير معناه عند علماء النفس، ولعل الأليق بمقام هذا البحث هو معناه عند النحويين.

معنى الظّاهرعند النحاة: (الاسم الذي ليس بضمير ويسمّى بالمظهر)[1]، ولعل العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي واضحة، فالاسم الظاهر فيه القوة والعلو والبروز والوضوح والبيان، وذلك بعكس التعبير بالاسم المضمر.

إذن الإظهار: هو التعبير بالاسم الظاهر، الذي ليس هو بالضمير، وهذا بدوره ينقلنا إلى الكلام عن معنى الضمير والإضمار.

**ثانياً: تعريف الإضمار لغةً واصطلاحاً:-**

**الإضمار لغة**[2]

الضمير وجمعه الضمائر، و الإضمار– مصدر أضمرَ يُضمر، فهو مُضمِر، والمفعول مُضمَر– والضمور– مصدر ضَمَرَ –، والضُّمْرُ– مصدر ضَمُرَ –، تدل على الدقة والنحافة والقلة، والهُزال، والخفة، الصغر، والانكماش، والضعف، والخفاء، والغيبة، والتستر.

وعموماً فإن (مادة الضاد والميم والراء أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى دِقَّةٍ فِي الشَّيْءِ، وَالْآخِرُ يَدُلُّ عَلَى غَيْبَةٍ وَتَسَتُّرٍ)[3]

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٢/ ١١٤٤)

(٢) انظر في ذلك كلاً من: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٣٦٤). [مقاييس اللغة .[بَابُ الضَّادِ وَالْمِيمِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا] (٣/ ٣٧١). مختار الصحاح (ص: ١٨٥). معجم اللغة العربية المعاصرة.(٢/ ١٣٦٨، ١٣٦٩).

(٣) مقاييس اللغة (٣/ ٣٧١). [بَابُ الضَّادِ وَالْمِيمِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا].

وضمُر الشَّيءُ: انكمش وانضمَّ بعضُه إلى بعض، أضمره المرضُ: أضعفَه، أضمر الشَّرَّ: أضمر له الشَّرَّ: أخفاه.

**الإضمار اصطلاحاً**(١)

الضمير جمعه ضمائر وله تعريفات مختلفة باختلاف اصطلاح كل علم، فهو عند علماء النفس غيره عند علماء الطب، غيره عند علماء الاجتماع، غيره عند علماء النحو، ولعل هذا الأخير هو الأليق بهذا البحث، وهو: ما دلّ على متكلِّم كـ (أنا) أو مخاطب كـ (أنت) أو غائب كـ (هو)، ويتنوّع الضمير إلى منفصل كالضّمائر المذكورة، ومتّصل وهو ما لا يُنطق به مستقلاً مثل (الكاف) في كتابك.

والضمير قد يكون منفصلاً كما تقدم أو متصلاً مثل الهاء في "إنه"، والمنفصل قد يكون ضمير رفع أو ضمير نصب مثل " أنا"، و " إياي"، و " أنت" ، و " إياك"، و " هو "، و " إياه".

إذن ومما تقدم نستطيع أن نعرف الإضمار اصطلاحاً بأنه: الإتيان بالضَّمير بدلاً من الاسم الظاهر.

يعني هو عكس الإظهار الذي هو الإتيان بالاسم الظاهر الذي ليس بضمير، وأما الإضمار هو الإتيان والتعبير بالاسم المضمر .

ولعل العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للضمير أو الإضمار واضحة، فالتعبير بالضمير أو المضمر مقارنة بالاسم الظاهر فيه ما فيه من الخفاء أو نوع عدم التصريح، وهذا مع قلة حروفه مقارنة بالظاهر، ومن ثم ضمور شكله، وحجمه، وانكماش حروفه، وهذا كله فيه من الضعف والهزال والخفاء ما فيه.

فالتعبير بالظاهر يتسم بالوضوح والعلانية، و التعبير بالمضمر فيه التستر، والخفاء. والله أعلم.

---

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٣٦٩).

وأن العلاقة بين الإظهار والإضمار أو المظهر والمضمر هي علاقة تضاد فكل منهما ضد الآخر، فلا يجتمعان وجوداً.

**ثالثاً: معنى مصطلح " الإظهار في موضع الإضمار":-**

بعد تعريف كلٍ من "الإظهار"، و"الإضمار"، لغةً واصطلاحاً، نستطيع أن نخلص إلى أن معنى مصطلح " الإظهار في موضع الإضمار" هو: الإتيان بالاسم الظاهر في موضع الاسم المضمر، خروجاً على مقتضى الظاهر، وذلك لفوائد وأسرار تقتضيه.

**شرح التعريف**(١)**:** إن الأصل في الكلام أن يكون موافقاً لما يقتضيه الحال أو الظاهر، فإذا ما كان الحال يقتضي التعبير بالاسم المضمر جيء به، ولكن أحياناً يخالف المتكلم هذه الحال، فيضع الاسم الظاهر في مكان الضمير، وذلك لفوائد عظيمة، ونكات جليلة، وهي اعتبارات يراها المتكلم، وهذا العدول يسمى (إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر)، ومنه أسلوب " الإظهار في موضع الإضمار"، فقد يقصد المتكلم تمكين المظهر في ذهن السامع، لأن المقام يقتضي اعتناء بشأنه: ومن الاعتناء بشأنه أنه لا ينوب عنه ضمير، لأن الضمير – وإن جاز أن ينوب عنه– لا يغني غناء الاسم الظاهر، لما يتضمنه الاسم من معنى له وقع عند المتلقي أو المتذوق في رأي الشاعر أو الأديب، ففي إظهار الاسم مكان إضماره بيان لعظم أمر ما، شرفاً أو خسة، جودة أو رداءة.

---

(١) انظر: الطراز لأســـرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـــ) (٢/ ٧٩). الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـــ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـــ). (ص: ٢١٢). ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي. الناشر: المكتبة العصرية، بيروت. البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع (ص: ١٣١). المؤلف: حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (المتوفى: ١٤٢٩ هـــ). الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة – مصر. الطبعة: سنة ٢٠٠٦ م.

وبالجملة فإن هذا الأسلوب معناه كما قال العلامة الزركشي[1] أن (يَكُونَ الْمَقَامُ يَقْتَضِي الْإِضْمَارَ فَيُعْدَلُ عَنْهُ إِلَى الظَّاهِرِ).

ويشرح الزركشي هذا التعريف ويوضحه في موضع آخر، فيقول : (وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْأَسْمَاءِ أَنْ تَكُونَ ظَاهِرَةً وَأَصْلُ الْمُحَدَّثِ عَنْهُ كَذَلِكَ وَالْأَصْلُ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَ ثَانِيًا أَنْ يُذْكَرَ مُضْمَرًا لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ بِالظَّاهِرِ السَّابِقِ ،....،كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾)[2] [العنكبوت: ١٧] فلم يقل " إلى الله ترجعون" بل أضمر.

وأمثلة ذلك من القرآن الكريم كثيرة جداً، منها قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص: ١، ٢]؛ لم يقل: "هو الصمد" – وإن كان ظاهر الحال يقتضي الإضمار، لتقدم المرجع– ولكنه قال: "الله الصمد" فوضع المظهر موضع المضمر، لأن المقام يقتضي الاعتناء بتمكين لفظ الجلالة من النفوس، وعلى هذا الأسلوب جرى القرآن الكريم في مواضع كثيرة منه، حيث تريد تربية المهابة في نفوس المؤمنين.

وأما ما جاء منه للذم فنحو قول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾. [البقرة: ٩٨]، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾. [البقرة: ٩٨] ولم يقل (عدو لهم).

وقد سبق ذكرهم في "من" المبهم، واسم " كان" المضمر فيها، ذماً لهم بالكفر، وتبييناً أن عدو الله وملائكته ورسله لا يكون إلا كافراً.

(١) البرهان في علوم القرآن (٤/ ٣٩).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤٨٤).بحذف يسير في النقل.

ومنه أيضاً بقصد إظهار الإنكار وشدة الغضب والتهكم بحالهم والتعجب من عنادهم وجحدهم، قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾. [ص: ١- ٢]، ثم قال بعد ذلك ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾.[ص: ٤]، والغرض هو إفراط النكير عليهم والتعريض بأنهم الكفرة حقا أهل التمرد الذى لا شك فيه، والمراء الذى لا مدفع له، وفى التنزيل كثير من هذا، ليدركه من كان له ذهن حاضر، وفؤاد حديد، وحظى من الله بتوفيق، وألقى السمع وهو شهيد.

## المطلب الثاني: كلام العلماء عن " الإظهار في موضع الإضمار":-

**أولاً: " الإظهار في موضع الإضمار" بين المنع والجواز.**

صحيح أن الإظهار في موضع الإضمار أسلوب بلاغي رائق، وراقي، إلا أن للعلماء من النحويين والبلاغيين والمفسرين، في أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار" من حيث وقوعه في الكلام مذاهب وأراء من بين من يجوزه ويستحسنه، ومن يستقبحه ويمنعه، ومن يرى أنه لا يكون إلا لضرورة، ومنهم من يجوزه في جملتين وأما في جملةٍ واحدةٍ فلا يرتضيه، وبيان ذلك:-

**الإظهار في موضع الإضمار عند النحاة**(١)

(١) انظر: الكتاب. المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ). (١/٦٢،٦٣). المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة. الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م. وانظر: ما يجوز للشاعر في الضرورة. المؤلف: محمد بن جعفر القزاز القيرواني أبو عبد الله التميمي (المتوفى: ٤١٢هـ). ( -١٧٣ ١٧٥). حققه وقدم له وصنع فهارسه: الدكتور رمضان عبد التواب، الدكتور صلاح الدين الهادي. الناشر: دار العروبة، الكويت - بإشراف دار الفصحى بالقاهرة.عدد الأجزاء: ١. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة المؤلف: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.(٤٢/ ١٦٤،١٦٥،١٦٦).الناشر: موقع الجامعة على الإنترنت. عدد الأجزاء: ١٢٠ عددًا.

مدخل: لقد جاء هذا الأسلوب في كلام واحدٍ هو من أشهر النحاة، وهو الإمام ابن مالك صاحب الألفية الشهيرة في النحو، حيث قال في ألفيته في باب "إنَّ"وأخواتها

وإنْ تُخَفَّفْ أنَّ فاسمها استكنْ  والخبرَ اجعل جملةً من بعدِ أنْ(١)

ففي البيت الثاني إظهارٌ في موضع الإضمار فقال " من بعد أن"، والأصل والقياس أن يقال: من بعدها .

١- بعض النحويين يرى أن الاسم إذا احتيج إلى ذكره ثانية، إما أن يكون ذلك في جملة واحدة أو في جملتين، - فإن كان في جملة واحدة كان الاختيار أن يذكر ضميره فتقول: "زيدٌ أكرمته"، ولا تقول: "زيدٌ أكرمتُ زيداً"، وإلا كان الكلام ضعيفاً، والوجه على خلافه، وذلك لأن التعبير بالمضمر دون الظاهر أخف من ناحيةٍ، وأبعد عن اللبس من ناحيةٍ أخرى، لأنك لو كررت المظهر ثانياً وفي جملةٍ واحدة لوقع الاشتباه في أن المظهر الثاني غير الأول يعني في الكلام زيدان الأول غير الثاني، كما أن الكلام يكون غير رشيق أو فيه تطويل أوثقل مقارنة بالتعبير بالمضمر.

- وإن كان في جملتين، فإعادة الاسم الظاهر في جملة أخرى جائز وحسن نحو: مررتُ بزيدٍ وزيدٌ رجلٌ فاضلٌ، وذلك لأن العرب كانت تفعل ذلك في كلامها باعتبار أن هناك جملتين كل منهما مستقلة، فيكون الاسم المكرر المظهر في جملة مستأنفة، والكلام جديداً، كما أنه في هذه الحال يرتفع اللبس والاشتباه في أن المكرر غير الثاني، بل هو عينه، بخلاف لو عبرت بالضمير في موضع الظاهر، فإنه يتحقق اللبس والاشتباه في أن الضمير لغير المظهر الأول، مثل قولك: زيدٌ أكرمته وزيدٌ أحببته، إذ إنه بالإمكان الوقف على الجملة الأولى ثم الابتداء بالأخرى،. ولو قيل: زيد أكرمته وهو أحببته لجاز أن يُتوهم الضميرُ لغير زيد. فإذا أُعيد باسمه الظاهر انتفى التوهم. .

(١) ألفية ابن مالك. المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ). (ص:٢٢). الناشر: دار التعاون

ولعل أقدم من صرح بهذا، واختاره هو الإمام الفاضل شيخ النحاة سيبويه في كتابه[١]

٢- ونصَّ بعضهم الآخر: كأبي عبد الله القيرواني صاحب ضرائر الشعر[٢] ، ومن وافقه مثل الأعلم الشنتمري[٣] على أنه لا يجوز الإظهار في موضع الإضمار إلا في الشعر، كقول الفرزدق:

**لعمرك ما معنٌ بتاركِ حقِّهِ ولا منسىءٌ معنٌ ولا متيسِّرُ**

فـ "معن"الثاني هو "معن"الأول. وكان القياس أن يأتي بضميره فيقول: ولا منسىء ولا متيسر.

٣- ويرى قوم أن الإظهار في موضع الإضمار يجوز مطقاً في كل كلام، ولا مانع منه في الشعر وغيره . قال مكي: وفيه نظر، وسوف يأتي الكلام عن الشيخ مكي، في الصفحات القادمة، كعلم من المفسرين.

---

(١) انظر: الكتاب. المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ). (٦٣،٦٢/١). المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة. الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٢) انظر: ما يجوز للشاعر في الضرورة. المؤلف: محمد بن جعفر القزاز القيرواني أبو عبد الله التميمي (المتوفى: ٤١٢هـ). ( ١٧٥-١٧٣). حققه وقدم له وصنع فهارسه: الدكتور رمضان عبد التواب، الدكتور صلاح الدين الهادي. الناشر: دار العروبة، الكويت - بإشراف دار الفصحى بالقاهرة.عدد الأجزاء: ١.

(٣) الأَعْلَم الشَّنْتَمَري. (٤١٠ - ٤٧٦ هـ . هو يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي، أبو الحجاج المعروف بالأعلم: عالم بالأدب واللغة. ولد في شنتمري الغرب سنة ٤١٠ هـ، ورحل إلى قرطبة. وكف بصره في آخر عمره ومات في إشبيلية سنة ٤٧٦هـ. كان مشقوق الشفة العليا، فاشتهر بالأعلم. من كتبه " شرح الشعراء الستة - ط " و " شرح ديوان زهير بن أبي سلمى - ط " و " شرح ديوان طرفة بن العبد - ط " و " شرح ديوان علقمة الفحل - ط " و " تحصيل عين الذهب - ط " في شرح شواهد سيبويه، و " شرح ديوان الحماسة - خ " في مجلدين، و " النكت على كتاب سيبويه - خ "، " تحصيل عين الذهب - ط " في شرح شواهد سيبويه. انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ٢٣٣)

٤- ومنعه قوم آخرون، فقالوا أنه لا يجوز مطلقاً لا في ضرورة ولا في اختيار. واستثنوا من ذلك ما إذا كان اسماً للجنس، أو أريد به تفخيم الأمر وتعظيمه فإن في ذلك فائدة كقوله – عز وجل-: ﴿الحاقَّةُ ما الحاقَّةُ﴾ ، و ﴿القارِعَةُ ما القارِعَةُ﴾ ، فلولا ما أُريد به من معنى التعظيم والتفخيم لقيل – والله أعلم-: الحاقةُ ما هي، والقارعةُ ما هي .

وكقوله سبحانه: ﴿إذا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزالَها وأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَها﴾. لأن الأرض اسم الجنس، فإذا أُعيد مظهراً لم يُتوهم أنه اسم لشيء آخر كما يتوهم في زيد ونحوه من الأسماء المشتركة.

والراجح أن الإظهار في موضع الإضمار لا يجوز إذا كان ذلك في جملة واحدة نحو: زيدٌ أكرمت زيداً، إلا في الضرورة، لكون الإضمار أخفَّ وأبعد عن الشبهة واللبس، وإذا أعيد في جملة أخرى، أو قصد به التفخيم، والتعظيم، أو كان اسم جنس حَسُن.

ويمكن أن نخلص من ذلك كله أن هذا الأسلوب الراقي جائز في كل وجه، بل هو حسن وبليغ عموماً، لأن النحاة جوزوه في كل وجه، وما منعوا إلا ما كان منه في جملةٍ واحدة، ثم استثنوا بعد ذلك ما كان منه لغرض، كالتعظيم والتفخيم أو التحقير أو غير من ذلك مما سيأتي الكلام عنه في فوائد هذا الأسلوب، ولا يوجد متكلم يأتي بمثل هذا الأسلوب إلا إذا كان له غرض وسر ونكتة، فكأن الخلاف بين هؤلاء العلماء خلاف لفظي ليس إلا.

**الإظهار في موضع الإضمار عند البلاغيين**(١)

في الواقع إذا راجعنا كتب البلاغة، وجدنا أن علماءها يستحسنون أسلوب الإظهار في موضع الإضمار، ويجيزونه في الكلام، بل ليس منهم من يمنعه أو لا يرى وجهاً

(١) انظر في ذلك: خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: ٢٤١)، (ص: ٢٤٤-٢٤٨)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: ١٤٣، ١٤٤)، دلائل الإعجاز. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ). (١/ ١٧٠). المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر. الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار =

لوجوده في الجملة، فهم قد أدلوا بدلوهم في هذا الأسلوب لأن له بعلوم البلاغة صلة وطيدة، وعلاقة وثيقة، مع اعترافهم أنه معدود من علم الإعراب، لكنه من جانبٍ آخر له تعلق بعلم المعاني، لأن الإفصاح بالإظهار في موضع الإضمار له موقع عظيم وفائدة جزلة، وهم يعدونه بإجماعهم، ويدرجونه تحت باب " خروج الكلام على مقتضى الظاهر"، فالبلاغة متوقفة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومقتضى الحال يجري على مقتضى الظاهر، وهذا بالطبع هو الأصل، ولكن قد يُعدل عمّا يقتضيه الظاهر إلى خلافه، مما تقتضيه الحال في بعض مقامات الكلام، لاعتبارات يراها المتكلم.

بل هناك من كان أكثر تحديداً بأن جعل هذا الأسلوب ليس فقط من باب خروج الكلام على مقتضى الظاهر، بل حدده أكثر بأن جعله من باب "خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر".

فإن شيخ البلاغيين في عصرنا الحاضر الدكتور محمد أبوموسى يرى أن البلاغيين جعلوا هذا الأسلوب ملحقا بالمسند إليه لأنه خرج به على خلاف الظاهر، ، فيقول: (لحظ البلاغيون أن دراسة وضع المظهر موضع المضمر وعكسه، ودراسة الالتفات تتصل بباب المسند إليه؛ لأنها من أحواله، فألحقوها بهن كما لحظوا أن أساليبها مما لا تجري على مقتضى المقررات المتعارفة، وإنما هي ضروب من المخالفة، فترجموا لها بخروج

---

المدني بجدة. الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٢/ ٧٩)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ). (ص: ٢١٢). ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي. الناشر: المكتبة العصرية، بيروت. عدد الأجزاء: ١، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. عبد المتعال الصعيدي. (١/ ١٣٥، ١٣٦). الناشر: مكتبة الآداب. الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. عدد الأجزاء: ٤، أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني. المؤلف: أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي(ص: ٢٤٨-٢٥٠). الناشر: وكالة المطبوعات – الكويت. الطبعة: الأولى، ١٩٨٠ م. عدد الأجزاء: ١.

المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر،...، وقد تابعناهم في ذلك لبنائه على ملاحظات دقيقة في ربط مباحث العلم، وتلاحقها في نظام يجمعها)[١]

ونجد أن البلاغيين قديما وحديثاً لا يتوقفون عند حد إلحاق هذا الأسلوب بباب الخروج على خلاف مقتضى الظاهر بل يستطردون في عد نكته وفوائده وأسراره، ويستشهدون لما يعددون بمواطن من القرآن الكريم، ثم يقسمون المسند إليه إلى اسم إشارة، ويذكرون فوائد لأسلوب الإظهار، وإلى غير اسم إشارة فيذكرون له فوائد أخر، أوصلها بعضهم إلى ثمان فوائد، أربع منها إن كان المسند إليه المظهر اسم إشارة، وأربع إن كان غير اسم إشارة[٢]

وأما العلامة الجرجاني، فهو يصرح أن لهذا الأسلوب عملاً، لا يمكن أن يوجد إن عدل عنه بأن كان الإضمار مستغنىً به عن الإظهار، فيقول: (ولهذا الذي ذكَرْنا من أنَّ للتَّصريح عَمَلاً لا يكونُ مثلُ ذلك العمل للكناية، كان في إعادة اللفظِ في مِثْلِ قولهِ تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾. [الإسراء: ١٠٥]، وقولهِ تعالى:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص: ١، ٢] من الحُسْنِ والبَهْجة، ومنَ الفَخَامة والنُّبل، ما لا يَخْفى موضِعُه على بصيرٍ. وكان لو تُرِكَ فيه الإظهارُ إلى الإضمار فقيل: "وبالحقِّ أنزلناه وبه نزل": و "قلْ هُوَ الله أَحدٌ هو الصَّمَدُ" لعدِمْتَ الذي أنت واجده الآن)[٣]

لقد وضع البلاغيون أيديهم على السبب الرئيس، والهدف العام لهذا الأسلوب، وهو ما يثيره في النفس من الشئون، ويحركه في القلب من المشاعر والعواطف والمواجيد، تلك التي لا يمكن أن تظهر عند مخاطبة العقول، وعمل الأذهان وحدها، يقول صاحب

(١) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: ٢٤١) بتصرف يسير في النقل.
(٢) انظر: علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: ١٤٣، ١٤٤)
(٣) دلائل الإعجاز ت شاكر (١/ ١٧٠)

خصائص التراكيب[١] (وقد أدرك البلاغيون وحي الكلمة، وعملها بما يثيره لفظها من شئون في النفس لا يستطيعها الضمير العائد عليها، فأشاروا إلى أن الكناية – يعنون بها الضمير – والتعويض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والتكشيف، فإذا كان الضمير يعطي إشارة ذهنية إلى العائد عليه هذه الإشارة تحضره في النفس إلا أن قدرا كبيرا من التأثير يظل الاسم الظاهر محتفظا بها، ولا يستطيع الضمير حملها نيابة عنه؛ لأنها تتولد حين يقرع اللفظ السمع بجرسه، وارتباطاته المختلفة جدا الاختلاف، والتي اكتسبها في قصته الطويلة مع الكلمات، والأحداث والمواقف، خذ لذلك قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾. [الإسراء: ١٠٥] ، فإنه من الواضح أنه لو قيل: "وبه نزل"، لكان الضمير عائدا على الحق، ومؤديا معناه من حيث الدلالة النحوية أو الدلالة المنطقية، ولكن يبقى لكلمة الحق من القدرة على إثارة قدر كبير من الخواطر لا ينهض الضمير بشيء منها، وليس ذلك خاصا بكلمة الحق ودلالتها الإنسانية الخصبة، وإنما يجري في كثير من الكلمات التي لها في سياق الحديث مكان خاص)

وبالجملة فقد جعل البلاغيون أسلوب الإظهار في موضع الإضمار بابا عظيما للبلاغة، وذكروا أن شواهده في القرآن الكريم واردة بكثرة.

وذكر صاحب كتاب " أساليب بلاغية"، أن مؤلفي مباحث علوم القرآن، لهم دراسات أوسع، وإيراد أشمل لمسائل هذا الأسلوب، فقال بعد أن ذكر كلام البلاغيين عن الإظهار في موضع الإضمار، (وليس في دراسة البلاغيين لهذا الأسلوب غير ما ذكرنا، أمّا الذين عنوا بعلوم القرآن فكانت نظرتهم أوسع ومسائلهم أكثر تشعبا واستيعابا. ولعل الزركشى من أبرز الذين بحثوا هذا الموضوع)[٢]

---

(١) دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: ٢٤٧،٢٤٨)

(٢) أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني. المؤلف: أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي.(ص: ٢٥٠). الناشر: وكالة المطبوعات – الكويت. الطبعة: الأولى، ١٩٨٠ م. عدد الأجزاء: ١.

وهذا بدوره ينتقل بنا إلى الكلام عن أسلوب الإظهار في موضع الإضمار عند المفسرين، والمؤلفين في مباحث علوم القرآن.

**الإظهار في موضع الإضمار عند علماء التفسير، وعلوم القرآن.**

إذا ما تأملنا كتب التفسير التي لها عناية بإبراز البلاغة والبيان في أسلوب القرآن كتفسير أبي السعود، والبقاعي، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، ومن سلك مسلكهم، لوجدنا أنهم يعتنون بهذا الأسلوب، وإذا ما مروا بجملةٍ أو آيةٍ فيها هذا الأسلوب بينوه، وذكروا أثره في معنى الآية، وفائدة التعبير بالظاهر في موضع المضمر، وقد تقدم الكلام على ذلك في المقدمة، وسوف يأتي مزيد توضيح عند الحديث عن مواطن هذا الأسلوب وأثره في التفسير في ضوء سورة التوبة، في تفسير أبي السعود، وذلك في المبحث الأخير من هذا البحث بإذن الله ﷻ، وقد سبق أن ذكرت أن العلامة أبا السعود قد ذكر في سورة التوبة وحدها واحداً وعشرين موضعاً جاء فيه أسلوب وضع المظهر موضع المضمر، مع بيان حكمته، وفائدة وسر إيثار هذا الأسلوب على غيره.

ولنأخذ مثالاً آخر على ذكر المفسرين لهذا الأسلوب، وكلامهم عنه من حيث جواز وقوعه، من عدمه، وهو تفسير الإمام مكي بن أبي طالب[1]، ذلك أن هذا العالم من بين المفسرين القلائل الذين لم يكتفوا ببيان موضع الأسلوب في الآية، ولا بإظهار فائدته، بل نجد أنه يتطرق إلى جواز وقوع هذا الأسلوب في الموضع الذي هو بصدده من عدمه، وكأنه يتطرق إلى كلام بعض النحاة الذي سبق ذكره، عند الحديث عن هذا الأسلوب

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه. المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ). المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي. الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة. الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

عند النحويين، وهذا أمر لم يشاركه فيه غيره من المفسرين- فيما أعرف- فمثلاً أبو السعود والبقاعي والآلوسي وغيرهم عندما يتحدثون عن هذا الأسلوب في ثنايا تفاسيرهم، يذكرون موضع الأسلوب من الآية والفائدة منه، دون الكلام أو الإشارة إلى أنه وقع في جملةٍ أو جملتين، وأن مسوغ مجيئه في هذا الموضع هو التفخيم أو غيره، ولكن الإمام مكي فعل ذلك في تفسيره.

**الشيخ مكي بن أبي طالب، وموقفه من أسلوب الإظهار في موضع الإضمار، من خلال تفسيره:**

إذا طالعنا كلام الشيخ مكي في تفسيره، عند تعرضه لهذا الأسلوب نجد أنه يميل إلى الدفاع عن جواز هذا الأسلوب بل واستحسانه، وهو لا يرتضي قول النحويين القائلين بالمنع على الإطلاق، بل يرد عليهم، ويقول بالجواز لمجيئه في القرآن الكريم، بل واستحسانه لا سيما إذا كان لغرض كتعظيم المظهر المكرر، وتفخيم شأنه، وأن ذلك قد تحقق معه أمن اللبس في أن المظهر الأول غير الثاني أو هو، فكأنه يقول بجواز هذا الأسلوب في الكلام إذا أمن اللبس، أو يرى بحسنه، ويرد على المانعين بعلة تحقق لبس واشتباه أن الثاني غير الأول بأن المواضع التي جاء فيها في القرآن الكريم ليست من هذا الباب، أو كأنه يشترط جواز وقوع هذا الأسلوب في الكلام أن يتحقق معه أمن اشتباه كون المكرر غير الأول، وهذا طبعاً مع إضافة فائدة الإظهار البلاغية، وأثره الواضح في معنى الجملة الوارد فيها(١)

ومثال ذلك قوله عند تفسير قوله ﷻ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾. [ آل عمران: ١٩]

(١) انظر كلام مكي في تفسيره في هذه المواضع: انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية. (٢/ ٩٧٧،٩٧٨)، (٢/ ١٠٩٣)، (٤/ ٣٠٠٤)، (٨/ ٥١٢٨).

(... أن النحويين إنما منعوا الإظهار فيما يمكن أن يتوهم أن الثاني غير الأول فيخاف الالتباس عند الإظهار، والآية لا يمكن ذلك فيها، لأن هذا الاسم ليس هو إلا لواحد لم يتسم به غيره، لا إله إلا هو، فإظهاره مرة بعد مرة لا يوهم أن الثاني غير الأول، وإظهار زيد مرة بعد مرة يوهم أن الثاني غير الأول.

فليست الآية تشبه ما يقع في الكلام من الإظهار بعد الإظهار، إذ زيد وغيره يصلح لكل أحد، ....، وفي الإظهار مع زوال الالتباس معنى التعظيم والتفخيم كما تقدم)[1]

ويقول مبيناً سر وفائدة الإظهار في موضع الإضمار، أنه غير ممنوع لانتفاء اللبس، وذلك عند تفسيره لقوله ﷻ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ١٠٩ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾. [آل عمران]

(أعيد ذكر الاسم في الآية لأنه أفخم ولأنه لا يقع فيه إشكال إذ هذا الاسم إنما هو للرب لا يشركه فيه أحد)[2]

**وأما إذا أردنا الكلام عن هذا الأسلوب في ضوء كتب علوم القرآن**، فإننا نكاد نجد الكفاية والغناء عندهم فهم قد تحدثوا عن هذا الأسلوب بشكلٍ أوسع وأشمل ، لاسيما الإمام الجليل بدرالدين الزركشي، صاحب الكتاب الفريد والعمدة والمرجع في مؤلفات علوم القرآن، أعني كتاب البرهان في علوم القرآن،كما شهد بذلك البلاغيون في كتبهم، كما تقدم.

**١- الإمام الزركشي، وكلامه عن أسلوب" الإظهار في موضع الإضمار":-**

(١) الهداية الى بلوغ النهاية (٢/٩٧٨،٩٧٧). مع تصرف يسير في النقل.

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية (٢/ ١٠٩٣)

ذكر الزركشي هذا الأسلوب بعنوان " وضع الظاهر موضع المضمر"، في النوع السادس والأربعين، وقد جعله من أساليب القرآن وفنونه البليغة، ذم ذكر منها الأسلوب الأول التأكيد، ثم ذكر منه القسم التاسع وهو وضع الظاهر موضع المضمر".

ثم نجد أن الشيخ يعيب على البيانيين أنهم لم يجعلوه من أقسام الإطناب، فيقول (وَالْعَجَبُ أَنَّ الْبَيَانِيِّينَ لَمْ يَذْكُرُوهُ فِي أَقْسَامِ الْإِطْنَابِ)[١]

ثم هو يتعرض بشكل سريع لأمرين، وهما:

وقوعه في جملة واحدة، ووقوعه في جملتين، فيقول: (وَإِنَّمَا يُسْأَلُ عَنْ حِكْمَتِهِ إِذَا وَقَعَ فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ فَإِنْ كَانَ فِي جُمْلَتَيْنِ مُسْتَقِلَّتَيْنِ كَالْبَيْتِ[٢] سَهُلَ الْأَمْرُ)[٣]، وكأنه يشير إلى أن وقوعه في جملة لا يكون إلا لحكمة كالتفخيم والتعظيم ، ونحو ما ذكره أهل النحو، وأما وقوعه في جملتين فالأمر يسير سهل، وكأنه يقرر جواز ذلك، ومخالفته لمن ينكر أو يستقبح وجوده مطلقاً، أو في الضرورة فقط.

ويؤكد ذلك كلامه في موضع آخر مفاده أن الإظهار في جملة واحدة حق له، وإن كان وقوعه في جملتين أسهل، لأنه يجتمع له وجهان الأول بياني، وهو ما يكون حال وقوعه في جملة واحدة، كالتفخيم والتهويل أو التعظيم، والثاني نحوي وهو وقوعه في جملتين مستقلتين، ومثل له بقوله ﷻ ﴿الحاقة* ما الْحَاقَّةِ﴾[٤]

ثم يشير إلى أمر آخر، وهو تكرار الاسم الظاهر لا بلفظه ولكن بلفظٍ آخر له كصفةٍ للاسم المظهر المكرر، ويقرر أنه جائز ومستساغٍ، والأمر فيه على الجواز وعدم

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤٨٢)، (٤/ ٣٩).

(٢) البيت قد ذكره في كلام سابق على النقل، وهو: إِذَا الْوَحْشُ ضَمَّ الْوَحْشَ فِي ظُلَلَاتِهَا ..... سَوَاقِطُ مِنْ حَرِّ وَقَدْ كَانَ أظهرا، وَلَوْ أَتَى عَلَى وَجْهِهِ لَقَالَ: "إِذَا الْوَحْشُ ضَمَّهَا".انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤٨٣)

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤٨٣).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٥٠١).

المنع، فهو كالتعبير بالظاهر والمضمر، وأشبه بأنه ليس من الإظهار في موضع الإضمار، أو هو حال بين الحالين، فالأمر فيه أوسع من أن ينكر أو يمنع، ويمثل له بأمثلة تدل له من القرآن الكريم، فيقول (وَيَسْهُلُ عِنْدَ اخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ،...، فَاخْتِلَافُ لَفْظَيْنِ ظَاهِرَيْنِ أَشْبَهَا لَفْظَيِ الظَّاهِرِ وَالْمُضْمَرِ فِي اخْتِلَافِ اللَّفْظِ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾[1]، وَلَمْ يَقُلْ: يُؤْذُونَهُ مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّعْظِيمِ فَالْجَمْعُ بَيْنَ الْوَصْفَيْنِ كَقَوْلِهِ ،...، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[2] وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الطَّاغُوتَ هُوَ الشَّيْطَانُ وَحَسُنَ ذَلِكَ هُنَا تَنْبِيهًا عَلَى تَفْسِيرِهِ)[3]

فالشيخ لا يشترط في تحقق الإظهار في موضع الإضمار تكرار الاسم بلفظه، ولذلك يقول في موضعٍ آخر، (لَا يُشْتَرَطُ فِي وَضْعِ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ أَنْ يَكُونَ بِلَفْظِ الْأَوَّلِ لِيَشْمَلَ مِثْلَ ،...، قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾[4] لِأَنَّ إِنْزَالَ الْخَيْرِ هُنَا سَبَبٌ لِلرُّبُوبِيَّةِ وَأَعَادَهُ بِلَفْظِ " اللَّهِ " لِأَنَّ تَخْصِيصَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ دُونَ غَيْرِهِمْ مُنَاسِبٌ لِلْإِلَهِيَّةِ لِأَنَّ دَائِرَةَ الرُّبُوبِيَّةِ أَوْسَعُ، وَمِثْلُهُ: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ﴾[5])[6]، فالأرض هي الجنة، وقد كرر الاسم

(١) سورة التوبة. ٦١.
(٢) النساء. ٧٦.
(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤٨٣، ٤٨٤) بتصرف في النقل.
(٤) البقرة. ١٠٥.
(٥) الزمر. ٧٤.
(٦) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤٩٩)

الظاهر بغير لفظه.

ولعل هذا يجعلنا نقول إن وضع الظاهر موضع المضمر نوعان: واحد بلفظه، وهو معروف، والثاني بدون لفظه، وهو دقيق يحتاج إلى نظرٍ واستدلال، ومعرفةٍ بمعان المفردات، ومرامي الجمل والآيات.

ثم يتم الشيخ كلامه عن هذا الأسلوب، آتياً بلمحةٍ جميلةٍ، تتعلق بمسوغٍ جديد لوقوع هذا الأسلوب، ألا وهو كلما طال الكلام، حسن مجيء الإظهار في موضع الإضمار، فيقول (وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَتَى طَالَ الْكَلَامُ حَسُنَ إِيقَاعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ كَيْلَا يَبْقَى الذِّهْنُ مُتَشَاغِلًا بِسَبَبِ مَا يَعُودُ عَلَيْهِ اللَّفْظُ فَيَفُوتُهُ مَا شَرَعَ فِيهِ كَمَا إِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي ابْتِدَاءِ آيَةٍ أُخْرَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ الْآيَةَ)[1][ البقرة:١٤٠]

**خلاصة ما سبق، أن الشيخ الزركشي، يرى:-**

أ- أن مجيء الإظهار في موضع الإضمار في جملةٍ واحدة جائز لا سيما إن كان لغرض كالتفخيم ونحوه.

ب- أن مجيئه في جملتين أجمل وأحسن، وأسهل وأيسر لأمن اللبس، ووجود الفائدة البيانية منه في الكلام.

ج- لا يشترط في الأسلوب أن يكون الاسم المكرر بلفظه بل يكفي أن يكرر بوصفه.

د- أن الكلام كلما طال حسن هذا الأسلوب، حتى يظل الذهن على علاقة بالمظهر المكرر، عنايةً به، ورعايةً لأمره.

**٢- الإمام جلال الدين السيوطي، وكلامه عن أسلوب" الإظهار في موضع الإضمار":-**

لقد جعله الإمام جلال الدين السيوطي صاحب الإتقان من أنواع الإطناب، فقال (النَّوْعُ الثَّالِثَ عَشَرَ: وَضْعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ)[2]، وقد قسم الإطناب في كتابه إلى

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٥٠٢).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٢٤٤)

قسمين، فقال (انْقَسَمَ الْإِطْنَابُ إِلَى بَسْطٍ وَزِيَادَةٍ.)[١] وجعله من أنواع الإطناب بالزيادة[٢]

وذكره أيضا في الباب التاسع والخمسون " في فواصل الآي" بعبارة إيقاع الظاهر موضع المضمر[٣]، وذلك باعتبار أن المناسبات قد يرتكب لأهميتها مخالفات منها إيقاع الظاهر موضع المضمر فقال (اعْلَمْ أَنَّ الْمُنَاسَبَةَ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ يُرْتَكَبُ لَهَا أُمُورٌ مِنْ مُخَالَفَةِ الْأُصُولِ قَالَ وَقَدْ تَتَبَّعْتُ الْأَحْكَامَ الَّتِي وَقَعَتْ فِي آخِرِ الْآيِ مُرَاعَاةً لِلْمُنَاسَبَةِ فَعَثَرْتُ مِنْهَا عَلَى نَيِّفٍ عَنِ الْأَرْبَعِينَ حُكْمًا.)[٤]

وكذا في كتابه " معترك الأقران"، جعلها من أقسام البسط بالزيادة، وأدرجه تحت النوع الثالث عشر، وسماه وضع الظاهر موضع المضمر[٥]

وأما كتابه الماتع (قطع الأزهار)، فله فيه كلام جميل عن حسن وقوع هذا الأسلوب في جملتين مستقلتين، فقال: (إذا تكررت جمل كثيرة على هذا الحد حسن فيها كلها إظهار الاسم، ولم يحسن الإتيان بالضمير)[٦].

وهو نفس كلام الزركشي كما تقدم، من أن مجيء الأسلوب في جملتين حسن وسهل، وأن الكلام كلما طال حسن هذا الأسلوب، وقد تقدم ذكره قريباً.

(١) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٢١٦)
(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٢١٦)
(٣) انظر الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٤٤)
(٤) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٣٩)
(٥) انظر معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٢٧٤)
(٦) قطع الأزهار في كشف الأسرار. للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ).( ٦٢٣/١). تحقيق ودراسة أحمد بن محمد الحمادي.إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. إدارة الشئون الإسلامية. دولة قطر. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ_ ١٩٩٤م.

## المطلب الثالث: فوائد، وأسرار " الإظهار في موضع الإضمار":-

إن الناظر في كتب[١] البلاغيين يجد أنهم عند تعرضهم لفوائد أسلوب "الإظهار في مقام الإضمار"، قد يذكرون له فائدة واحدة أو أكثر، مع التمثيل لها بشاهدٍ من القرآن الكريم، ولكنهم أيضاً، يقسمون الاسم المظهر إلى قسمين، لكل قسم فوائده ونكاته، فهو إما اسم إشارة، أو غير اسم إشارة، وقد ذكر بعضهم لكل قسم أربع فوائد، فيكون مجموع ما ذكر من فوائد حوالي ثمان فوائد، كما فعل صاحب: "علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع"[٢]، و كتاب " أساليب بلاغية"[٣] ، وهي قليلة – تقريبا النصف– موازنة بما ذكر علماء علوم القرآن في كتبهم ، والبلاغيون مقرون بذلك في كتبهم، ولذا نجد أن صاحب كتاب " أساليب بلاغية"[٤]، بعد أن يعدد فوائد هذا الأسلوب، وكأنه يخبر أنها قليلة بما أفاض به المؤلفون في علوم القرآن الكريم، يقول (وليس في دراسة البلاغيين لهذا الأسلوب غير ما ذكرنا، أمّا الذين عنوا بعلوم القرآن فكانت نظرتهم أوسع ومسائلهم أكثر تشعبا واستيعابا. ولعل الزركشى من أبرز الذين بحثوا هذا الموضوع)، ثم سرد كلام الزركشي في أسباب الخروج على الظاهر، فسردها نقلا بلفظها وعددها سبع عشرة فائدة، مع تصرف في نقل الأمثلة لها[٥]

---

(١) انظر: خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: ٢٤١)، (ص: ٢٤٤-٢٤٨)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: ١٤٣، ١٤٤). دلائل الإعجاز. للجرجاني الدار .(١/ ١٧٠). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٢/ ٧٩)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. (ص: ٢١٢). بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. عبد المتعال الصعيدي. (١/ ١٣٥، ١٣٦). أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني. المؤلف: أحمد الناصري الصيادي الرفاعي(ص: ٢٤٨-٢٥٠).

(٢) انظر الكتاب: (ص: ١٤٣، ١٤٤)

(٣) انظر الكتاب (ص: ٢٤٩،٢٥٠)

(٤) انظر أساليب بلاغية. ص: ٢٥٠

(٥) المصدر السابق. (ص: ٢٥١-٢٥٦).

وأما كتب علوم القرآن فقد توسع واستوعب علماؤها في إبراز فوائد هذا الأسلوب، حتى بلغ بها الإمام الزركشي سبع عشرة فائدة(١)،وجعلها الإمام السيوطي في الإتقان(٢)، ومعترك الأقران(٣)ست عشرة فائدة فقط، حيث انفرد الزركشي بفائدة واحدة، وهي ما ذكرها تحت مسمى " كَوْنُ مَا يَصْلُحُ لِلْعَوْدِ وَلَمْ يُسَقِ الْكَلَامُ لَهُ".

ولذا عندما أتحدث عن فوائد أسلوب "الإظهار في موضع الإضمار"، فمن الطبيعي أن أتوجه إلى كتب علوم القرآن، لا سيما كتاب البرهان للإمام الزركشي، لأنه الأشمل للفوائد، والأصل بالنسبة لمن جاء بعده وكتب في علوم القرآن كالإمام السيوطي، وكذا كتاب الإتقان للإمام السيوطي رضي الله عنهم أجمعين.

**فوائد الإظهار في مقام الإضمار في ضوء كتابي البرهان، والإتقان في علوم القرآن:-**

١- قَصْدُ التَّعْظِيمِ: مثل: قوله تعالى: ﴿القارعة* ما الْقَارِعَةِ﴾. كَانَ الْقِيَاسُ . لَوْلَا مَا أُرِيدَ بِهِ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالتَّفْخِيمِ . " الْحَاقَّةُ مَا هِيَ "

٢- قصد الإهانة والتحقير. كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾.[المجادلة: ١٩]

٣- الثَّالِثُ: الِاسْتِلْذَاذُ بِذِكْرِهِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٥﴾[الزمر: ٧٤ ]. وَلَمْ يَقُلْ: "مِنْهَا" وَلِهَذَا عَدَلَ عَنْ ذِكْرِ الْأَرْضِ إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْأَرْضِ الْجَنَّةَ.

(١) انظر البرهان في علوم القرآن. ( ٢/ ٤٨٥- ٤٩٨)
(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن. (٣/ ٢٥١-٢٤٤)
(٣) انظر معترك الأقران. (١/ ٢٧٤- ٢٧٨)

٤- زِيَادَةُ التَّقْدِيرِ(١). كَقَوْلِهِ تَعَالَى: تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾. بعد قوله: ﴿الله أحد﴾، وَيَدُلُّ عَلَى إِرَادَةِ التَّقْدِيرِ سَبَبُ نُزُولِهَا وَهُوَ أَنَّ قُرَيْشًا قَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ صِفْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي تدعوننا إليه فنزل: ﴿الله أحد﴾ مَعْنَاهُ: أَنَّ الَّذِي سَأَلْتُمُونِي وَصْفَهُ هُوَ اللَّهُ ثُمَّ لَمَّا أُرِيدَ تَقْدِيرُ كَوْنِهِ اللَّهَ أُعِيدَ بِلَفْظِ الظَّاهِرِ دُونَ ضَمِيرِهِ.

٥- إِزَالَةُ اللَّبْسِ حَيْثُ يَكُونُ الضَّمِيرُ يُوهِمُ أَنَّهُ غَيْرُ الْمُرَادِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾.[ الإسراء:٧٨]. الْآيَةَ لَوْ قَالَ: "إِنَّهُ" لَأَوْهَمَ عَوْدَ الضَّمِيرِ إِلَى الْفَجْرِ.

٦- أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ تَرْبِيَةَ الْمَهَابَةِ، وَإِدْخَالَ الرَّوْعَةِ فِي ضَمِيرِ السَّامِعِ بِذِكْرِ الِاسْمِ الْمُقْتَضِي لِذَلِكَ كَمَا يَقُولُ الْخَلِيفَةُ لِمَنْ يَأْمُرُهُ بِأَمْرٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكَ بِكَذَا مَكَانَ أَنَا آمُرُكَ بِكَذَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾

٧- قَصْدُ تَقْوِيَةِ دَاعِيَةِ الْمَأْمُورِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾.[ آل عمران:١٥٩].وَلَمْ يَقُلْ "عَلَيَّ" وَحِينَ قَالَ ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ لَمْ يَقُلْ: "إِنَّهُ يُحِبُّ" أَوْ "إِنِّي أُحِبُّ" تَقْوِيَةً لِدَاعِيَةِ الْمَأْمُورِ بِالتَّوَكُّلِ بِالتَّصْرِيحِ بِاسْمِ الْمُتَوَكَّلِ عَلَيْهِ.

٨- تَعْظِيمُ الْأَمْرِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾، وَلَمْ يَقُلْ: "خَلَقْنَاهُ" لِلتَّنْبِيهِ عَلَى عِظَمِ خَلْقِهِ لِلْإِنْسَانِ

٩- أَنْ يُقْصَدَ التَّوَصُّلُ بِالظَّاهِرِ إِلَى الْوَصْفِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾. [ الأعراف:١٥٨]. بَعْدَ قَوْلِهِ فِي صَدْرِ الْآيَةِ: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾ دُونَ "فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَبِي" لِيَتَمَكَّنَ مِنْ إِجْرَاءِ الصِّفَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا مِنَ "النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ" فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ

(١) سماه السيوطي: زيادة التقرير والتمكين. انظر الإتقان في علوم القرآن. (٣/٢٤٤).

"وَبِي" لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الضَّمِيرَ لَا يُوصَفُ لِيُعْلَمَ أَنَّ الَّذِي وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهِ وَالِاتِّبَاعُ لَهُ هُوَ مَنْ وُصِفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ أَنَا أَوْ غَيْرِي، إِظْهَارًا لِلنَّصَفَةِ وَبُعْدًا مِنَ التَّعَصُّبِ لِنَفْسِهِ.

١٠- التَّنْبِيهُ عَلَى عِلَّةِ الْحُكْمِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾. [ البقرة:٥٩] .وَلَمْ يَقُلْ: "عَلَيْهِمْ" لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الضَّمِيرِ مَا فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، مِنْ ذِكْرِ الظُّلْمِ الْمُسْتَحَقِّ بِهِ الْعَذَابُ.

١١- قَصْدُ الْعُمُومِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾. [الكهف:٧٧].وَلَمْ يَقُلْ: "اسْتَطْعَمَهُمْ" لِلْإِشْعَارِ بِتَأْكِيدِ الْعُمُومِ، وَأَنَّهُمَا لَمْ يَتْرُكَا أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا اسْتَطْعَمَاهُ وَأَبَى وَمَعَ ذَلِكَ قَابَلَهُمْ بِأَحْسَنِ الْجَزَاءِ.

١٢- قَصْدُ الْخُصُوصِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾. [ الأحزاب:٥٠]. وَلَمْ يَقُلْ: "لَكَ" لِأَنَّهُ لَوْ أَتَى بِالضَّمِيرِ لَأُخِذَ جَوَازُهُ لِغَيْرِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾، فَعَدَلَ عَنْهُ إِلَى الظَّاهِرِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى الْخُصُوصِيَّةِ وَأَنَّهُ لَيْسَ لِغَيْرِهِ ذَلِكَ.

١٣- مُرَاعَاةُ التَّجْنِيسِ(١).

---

(١) سماه السيوطي: مُرَاعَاةُ الْجِنَاسِ وجعل منه قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِالْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ الْجِنْسُ وَبِالثَّانِي آدَمُ أَوْ مَنْ يَعْلَمُ الْكِتَابَةَ أَوْ إِدْرِيسَ وَبِالثَّالِثِ أَبُو جَهْلٍ. انظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٢٤٧، ٢٤٨). والجناس أو التجنيس هو اصطلاحا تشابه الكلمتين في اللفظ مع اختلاف في المعنى، وينقسم قسمين: ١- تام، وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء:

أ- هيئة الحروف، أي: حركاتها وسكناتها. ب- عددها. جـ- نوعها. د- ترتيبها. مثل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾. [الروم: ٥٥ ]، فالساعة الأولى يوم القيامة، والثانية واحدة الساعات. ٢- وغير التام ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأربعة =

وَمِنْهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝﴾، السورة[1] ، فقد تكررت كلمة الناس في السورة، لكن الأخيرة معناها غير أخواتها اللاتي سبقن في جميع السورة[2].

١٤- أَنْ يَتَحَمَّلَ ضَمِيرًا لَا بُدَّ مِنْهُ. كَقَوْلِهِ: ﴿أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ [3].

١٥- كَوْنُهُ أَهَمَّ مِنَ الضَّمِيرِ[4]. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا﴾. [ البقرة: ٢٨٢].

١٦- كَوْنُ مَا يَصْلُحُ لِلْعَوْدِ وَلَمْ يُسَقِ الْكَلَامُ لَهُ كَقَوْلِهِ: ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ . [الأنعام: ١٢٤].(فهناك من الكفار كأبي جهل وعمه الوليد بن المغيرة تقولوا وادعوا بهتاناً أنهم أولى بالرسالة من سيدنا النبي- عليه الصلاة والسلام- ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ

---

المتقدمة: كقولهم: لا تنال الغُرر، إلا بركوب الغَرر، فقد اختلف اللفظان في حركة الغين فيهما، فالأول الغرر "بالضم" جمع أغر، وهو الحسن من كل شيء، "وبالفتح" التعرض للتهلكة، وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾. فوقع الاختلاف بين اللفظين في حرفي القاف والنون. ومن أراد المزيد يينظر: علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع. الشيخ أحمد بن مصطفى المراغي.(ص: ٣٥٤-٣٥٦).

(١) يرى الطاهر بن عاشور أن الناس الأخيرة غير ما تقدم ذكره من كلمة "الناس"، (وَذَلِكَ غير مَا صدق كَلِمَةِ النَّاسِ فِي الْمَرَّاتِ السَّابِقَةِ). التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٣٦)

(٢) الإمام الزمخشري يرى أن سبب الإظهار في السورة، أن العطف عطف بيان وهو للبيان فناسب الإظهار دون الإضمار لكلمة الناس. انظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٨٢٣).

(٣) قال السيوطي( لَوْ قَالَ: "اسْتَطْعَمَاهَا" لَمْ يَصِحَّ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَطْعِمَا الْقَرْيَةَ أَوْ "اسْتَطْعَمَاهُمْ" فَكَذَلِكَ لِأَنَّ جُمْلَةَ "اسْتَطْعَمَا" صفة لقرية النكرة لَا لِ "أَهْلَ" فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهَا ضَمِيرٌ يَعُودُ عليها وَلَا يُمْكِنُ إِلَّا مَعَ التَّصْرِيحِ بِالظَّاهِرِ). الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٢٤٨).

(٤) سماه السيوطي: مُرَاعَاةُ التَّرْصِيعِ وَتَوَازُنِ الْأَلْفَاظِ فِي التَّرْكِيبِ. انظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٢٤٨)، ولعله لا تعارض فالإظهار اكتسب كونه أهم من الإضمار مراعاةً للترصيع، وتوازن الألفاظ، وهذا من الأساليب البلاغية العالية.

مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾، فجاء الرد عليهم بالجملة بعدها ﴿اللَّهُ أعلم حيث يجعل راسالته﴾ فالأمر ليس متعلقاً بمالٍ أو جاهٍ أو سلطان، ولكنه بيد الله وعلمه يضعه ويجعل الرسالة وفق علمه وحكمته، ولذا عبر بالمظهر في مقام المضمر، لتكون الجملة مستأنفة أو معترضة للإنكار، والرد عليهم في تقولهم، ولو عبر بالضمير لما تحقق ذلك، ولاشتبه أن الكلام ليس مستأنفاً، بل قد يكون من جملة قولهم، كأن يكون " قَالُوا لَن نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ هو أعلم حيث يجعل رسالته"(١)

١٧- الْإِشَارَةُ إِلَى عَدَمِ دُخُولِ الْجُمْلَةِ فِي حُكْمِ الْأُولَى. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾. [ الشورى: ٢٤]. فإن جملة " ويمحو الله الباطل" مستأنفة، وليست داخلة في حكم الأولى " يختم على قلبك"، وإلا كان محو الباطل معلقاً على الشرط، وليس هذا بصحيح، لأن محو الباطل ثابت، غير معلق على شرط، بخلاف الختم على القلب، الذي هو معدوم أصلاً، ولذا كان الإظهار لبيان أن الجملة غير داخلة في حكم الأولى(٢).

مما سبق يتبين لنا أن هذا الأسلوب وارد بكثرة جداً في القرآن الكريم، وأن فوائده قيمة ومتنوعة، وهي جديرة بالدراسة، والبحث والتأمل لا سيما إذا كان ذلك في ضوء فهم كلام الله تعالى، وتفسير مراده منه.

---

(١) هذا التوضيح مستفاد من كلام كل من الزمخشري، وابن عاشور في تفسيرهما، انظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦٣)، التحرير والتنوير (٨-أ/ ٥٣، ٥٤)

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن. ( ٢/ ٤٨٥- ٤٩٨). والإتقان في علوم القرآن. (٣/ ٢٤٤- ٢٥١).

## المبحث الثالث: مواضع " الإظهار في موضع الإضمار" في سورة التوبة، وأثره في التفسير من خلال تفسير أبي السعود:-

### المطلب الأول: بين يدي السورة الكريمة:-

**اسمها:-**

هذه السورة الكريمة لها أسماء كثيرة ، وهذا يدل على شرف منزلتها، وعظيم مكانتها، فكثرة الأسماء والألقاب تدل على شرف المسمى، وقد بلغت أسماؤها أربعة عشر اسما، لكن أشهرها وأثبتها هو ما سميت به، في أكثر المصاحف، وفي كلام السلف: وهو:

١- سورة براءة، وهي تسمية لها بأول كلمة منها.

٢- "سورة التوبة"، لأنها وردت فيها توبة الله ﷻ عن الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهو حدث عظيم.

وهذان الاسمان هما الموجودان في المصاحف التي رأيناها.

ولهذه السورة أسماء أخر، وقعت في كلام السلف، من الصحابة والتابعين، وهي:

١- "المقشقشة" -بصيغة اسم الفاعل وتاء التأنيث من قشقشة إذا أبراه من المرض، كان هذا لقبا لها ولسورة "الكافرون" لأنهما تخلصان من آمن بما فيهما من النفاق والشرك، لما فيهما من الدعاء إلى الإخلاص، ولما فيهما من وصف أحوال المنافقين.

٢- "الفاضحة": فإنه ما زال ينزل فيها "ومنهم - ومنهم" حتى ظن الصحابة أنه لا يبقى أحد إلا ذكر فيها.

فقد عرف المؤمنون بما جاء فيها من صفات المنافقين كثيراً منهم، مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾. [التوبة:٤٩] فقد قالها بعضهم وسُمعت منهم، وقوله: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ﴾ [التوبة:٦١]، فهؤلاء نقلت مقالتهم بين المسلمين. وقوله: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾. [ التوبة:٤٢].

٣- "سورة العذاب" لأنها نزلت بعذاب الكفار، أي عذاب القتل والأخذ .

٤- "المنقرة" -بكسر القاف مشددة- لأنها نقرت عما في قلوب المشركين من نوايا الغدر بالمسلمين والتمالي على نقض العهد .

٥- "البحوث" - بباء موحدة مفتوحة في أوله وبمثلثة في آخره بوزن فعول - بمعنى الباحثة، وهو مثل تسميتها "المنقرة".

٦- "الحافرة" كأنها حفرت عما في قلوب المنافقين من النفاق، فأظهرته للمسلمين.

٧- "المثيرة" لأنها أثارت عورات المنافقين وأظهرتها.

٨- "المبعثرة" لأنها بعثرت عن أسرار المنافقين، أي أخرجتها من مكانها.

٩- "المخزية" بالخاء - والزاي المعجمة وتحتية بعد الزاي ، لقوله تعالى:﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢﴾. [التوبة:٢].

١٠- "المنكِّلة"، أي بتشديد الكاف.

١١- "المشدِّدة".

١٢- "المدمدِمة" - بصيغة اسم الفاعل من دمدم إذا أهلك لأنها كانت سبب هلاك المشركين. فهذه أربعة عشر اسما. إذا ضمت إلى اسم " براءة" و " التوبة"[(١)]

**زمان نزولها (مكيتها ومدنيتها):-**

سورة التوبة مدنية،إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان، وهما قوله ﷻ ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ

(١) انظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٢٤١)، التحرير والتنوير (١٠/ ٩٥-٩٧)، والمفَصَّلُ في موضوعات سور القرآن. جمع وإعداد. الباحث في القرآن والسنة. علي بن نايف الشحود.( ٤١٤، ٤١٥).

رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ وأما القول بمكية آخر آيتين منها فهو قول شذ به صاحبه[1]

**عدد آياتها:-**

وَعَدَدُ آياتها، فِي عَدِّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالشَّامِ وَالْبَصْرَةِ: مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً، وَفِي عَدِّ أَهْلِ الْكُوفَةِ مِائَةٌ وَتِسْعٌ وَعِشْرُونَ آيَة[2]

**لماذا تركت التسمية قبلها، والصواب في ذلك:-**

لقَدْ تَرَكَ الصَّحَابَةَ الكرام الَّذِينَ كَتَبُوا الْمُصْحَفَ كِتَابَةَ الْبَسْمَلَةِ قَبْلَ سُورَةِ بَرَاءَةٌ، فَجَعَلُوا سُورَةَ بَرَاءَةٌ عَقِبَ سُورَةِ الْأَنْفَالِ بِدُونِ بَسْمَلَةٍ بَيْنَهُمَا، وَتَرَدَّدَ الْعُلَمَاءُ فِي تَوْجِيهِ ذَلِكَ. وَأَوْضَحُ الْأَقْوَالِ مَا يلي:-

١- أَنَّ كَتَبَةَ الْمَصَاحِفِ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ اخْتَلَفُوا فِي الْأَنْفَالِ. وَبَرَاءَة، هَلْ هُمَا سُورَةٌ وَاحِدَةٌ أَوْ هُمَا سُورَتَانِ، فَتَرَكُوا فُرْجَةً فَصْلًا بَيْنَهُمَا مُرَاعَاةً لِقَوْلِ مَنْ عَدَّهُمَا سُورَتَيْنِ، وَلَمْ يَكْتُبُوا الْبَسْمَلَةَ بَيْنَهُمَا مُرَاعَاةً لِقَوْلِ مَنْ جَعَلَهُمَا سُورَةً وَاحِدَةً،

٢- أَنَّهُمْ إِنَّمَا تَرَكُوا الْبَسْمَلَةَ فِي أَوَّلِهَا لِأَنَّ الْبَسْمَلَةَ أَمَانٌ وَبِشَارَةٌ، وَسُورَةُ بَرَاءَةٌ نَزَلَتْ بِنَبْذِ الْعُهُودِ وَالسَّيْفِ، فَلِذَلِكَ لَمْ تُبْدَأْ بِشِعَارِ الْأَمَانِ.

٣- أن التسمية افتتاح للخير، وأول هذه السورة وعيد ونقض عهود، فلذلك لم تفتتح بالتسمية.

٤- أَنَّ الْخَاطِبَ الْمُغْضَبَ يبْدَأ خطبَته «بأمّا بَعْدُ» دُونَ اسْتِفْتَاحٍ. وَشَأْنُ الْعَرَبِ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ عَهْدٌ فَأَرَادُوا نَقْضَهُ، كَتَبُوا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ يَنْبِذُونَ إِلَيْهِمْ بِالْعَهْدِ كِتَابًا وَلَمْ يَفْتَتِحُوهُ بِكَلِمَةِ «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ».

---

(١) انظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٢٤١) التحرير والتنوير (١٠/ ٩٧).

(٢) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٢٤١)، التحرير والتنوير (١٠/ ٩٨).

٥- أن جبريل- عليه السلام- ما نزل بها في هذه السورة

٦- عدم أمره صلى الله عليه وسلم بكتابتها، إذ لم ينزل بها جبريل- عليه السلام- والأصل في ذلك التوقيف [١]

نخلص مما سبق إلى أن:

أ- الأقول الثاني والثالث والرابع تدور حول معنى ومحورٍ واحد حتى لكأنها قول واحد، وكذا الحال في القولين الخامس والسادس، كما لا يخفى.

**ب- أن الصحيح في ذلك:** القول بأن البسملة تركت في أولها ولم تكتب لعدم أمره- صلى الله عليه وسلم- بكتابتها، إذ لم ينزل بها جبريل- عليه السلام- والأصل في ذلك التوقيف، ذلك أن هذا القول هو تصريح لكثير من المحققين من العلماء بأنه القول الصواب، وإليك جملةً من قول بعضهم:-

١- قال القرطبي في تفسيره (والصحيح أن التسمية لم تكتب، لأن جبريل- عليه السلام- ما نزل بها في هذه السورة)[٢]

---

(١) انظر في ذلك: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ). (١٥/ ٥٢١، ٥٢٢). الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ. التحرير والتنوير (١٠/ ١٠١). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. المؤلف: محمد سيد طنطاوي. (٦/ ١٨١، ١٨٣). الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة.

(٢) تفسير القرطبي. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ). (٨/ ٦٣). تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة. الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

٢- قال الإمام الفخر الرازي في تفسيره بعد أن ذكر أوجها في سبب إسقاط التسمية من أول السورة: (بل الصحيح أنه عليه السلام أمر بوضع هذه السورة، بعد سورة الأنفال وحيا، وأنه عليه السلام حذف بسم الله الرحمن الرحيم من أول هذه السورة وحيا)[١]

٣- وجاء في تفسير الجلالين: (ولم تكتب فيها البسملة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك)[٢]

٤- وقال العلامة أبو السعود (وأن لا مدخل لرأي أحد في الإثبات والترك وإنما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا مرية في عدم نزولها ههنا وإلا لا متنع أن يقع في الاستقلال اشتباه أو اختلاف فهو إما لاتحاد السورتين أو لما ذكرنا.

لا سبيل إلى الأول وإلا لبينه صلى الله عليه وسلم لتحقق مزيد الحاجة إلى البيان لتعاضد أدلة الاستقلال من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين نزولهما فحيث لم يبينه صلى الله عليه وسلم تعين الثاني لأن عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم)[٣]

فالشيخ يرى أن السورتين مستقلتين، وأن القول بأن البسملة تركت لأن التوبة والأنفال سورة واحدة غير راجح، وإلا بينه سيدنا النبي نظراً لطول الفاصل الزمني بين نزول السورتين، وطول آياتهما، فالبيان هنا الحاجة إليه ماسة وحيث لم يبين ذلك سيدنا النبي، بقي القول بأنها سورة مستقلة، وأن التسمية هتا تركت لأن الوحي لم ينزل بإثباتها، ولا مدخل لأحد ولا لاجتهادٍ في الترك والإثبات، بل هو الوحي والتوقيف[٤].

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٥/ ٥٢١)

(٢) تفسير الجلالين. المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). (ص: ٢٣٩). الناشر: دار الحديث – القاهرة. الطبعة: الأولى

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٣٩).

(٤) ومن أراد المزيد فليطالع التفسير الوسيط لطنطاوي (٦/ ١٨٠- ١٨٣).

**مناسبتها لسورة الأنفال:-**

إذا تأملنا سورة الأنفال وسورة التوبة، ولحظنا موضوعاتها، واستشرفنا استنكاه أهدافها، وجدنا أن سورة التوبة كالمتممة لسورة الأنفال (في معظم ما في أصول الدين وفروعه، وفى التشريع الذي جلّه في أحكام القتال والاستعداد له، وأسباب النصر فيه، وأحكام المعاهدات والمواثيق من حفظها ونبذها عند وجود المقتضى لذلك، وأحكام الولاية في الحرب وغيرها بين المؤمنين بعضهم مع بعض، والكافرين بعضهم مع بعض، وأحوال المؤمنين الصادقين والكفار والمذبذبين من المنافقين ومرضى القلوب، فما بدىء به في الأولى أتم في الثانية)[1]

ويمكن أن نعدد بعضاً من أوجه المناسبة بين السورتين فيما يلي:-

١- (أن في الأولى قسمة الغنائم وجعل خمسها لخمسة أصناف على ما علمت وفي هذه قيمة الصدقات وجعلها لثمانية أصناف على ما ستعلم إن شاء الله تعالى.

٢- وفي الأولى أيضا ذكر العهود وهنا نبذها.

٣- وأنه تعالى أمر في الأولى بالإعداد فقال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾. [الأنفال: ٦٠]، ونعى هنا على المنافقين عدم الإعداد بقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾. [التوبة: ٤٦]

٤- وأنه سبحانه ختم الأولى بإيجاب أن يوالي المؤمنين بعضهم بعضا وأن يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وصرح جل شأنه في هذه بهذا المعنى بقوله تبارك وتعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢

(١) تفسير المراغي. المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ). (١٠/ ٥٠). الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾. [التوبة: ١])[1]

٥- (تفصيل الكلام في قتال المشركين وأهل الكتاب.

٦- ذكر في الأولى صدّ المشركين عن المسجد الحرام، وأنهم ليسوا بأوليائه، وجاء في الثانية ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾[2] إلى آخر الآيات .

٧- ذكر في سورة الأنفال الترغيب في إنفاق المال في سبيل الله، وجاء ذلك بأبلغ وجه في براءة.

٨- جاء في الأولى ذكر المنافقين والذين في قلوبهم مرض- وفصل ذلك في الثانية أتمّ تفصيل)[3]

**المقاصد الإجمالية لسورة التوبة، وأهم ما تضمنته من موضوعات:-**

إن هذه السورة الكريمة قد أوضحت الطوائف المتنوعة التي كان المجتمع الإسلامى يتكون منها عند نزولها، أى: بعد أن تم فتح مكة.

فقد تحدثت عن المجتمع الإسلامي وبينت كيفية تنظيم علاقته بغيره من المجتمعات المحيطة به، من أهل الكتاب والمشركين والمنافقين، بل وعلاقتهم ببعضهم البعض، ومع نبيهم ﷺ، ومع ربهم ﷻ.

وهذه بعض الموضوعات، والمحاور الرئيسة، والمقاصد العامة التي تناولتها سورة التوبة:-

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني (٥/ ٢٣٦)

(٢) التوبة: ١٧.

(٣) تفسير المراغي (١٠/ ٥٠، ٥١)

أ- إن السورة الكريمة قد حددت تحديدا حاسما المنهاج الذي يجب أن يسلكه المؤمنون في علاقاتهم مع المشركين، وأبرزت بصورة واضحة ومقنعة الأسباب المتنوعة التي أوجبت سلوك هذا المنهاج، وبيان ذلك فيما يلي:-

١- أعلنت السورة في أولها براءة الله ورسوله من المشركين بسبب خيانتهم.

٢- ثم صرحت السورة الكريمة بعد ذلك بأن المؤمنين وحدهم هم الذين من حقهم أن يعمروا مساجد الله ... أما المشركون فليس من حقهم ذلك بسبب كفرهم ونجاستهم. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

٢- وفي الربع الثاني من سورة التوبة، وفي أوائله توجه إلى المؤمنين نداء تأمرهم فيه أن يؤثروا محبة الله ورسوله على محبة الآباء والأبناء والأموال.. وتهدد من يخالف ذلك فتقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

٣- ثم وجهت إليهم نداء ثانيا نهتهم فيه عن تمكين المشركين من قربان المسجد الحرام، وبشرتهم بأن الله- تعالى- سيغنيهم من فضله متى تابوا إليه وأطاعوه. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

ب- ثم بدأت السورة بعد ذلك في تحديد المنهاج الذي يجب أن يسلكه المؤمنون في علاقاتهم مع المنحرفين من أهل الكتاب، وأبرزت، أيضا: الأسباب التي تدعو إلى التزام هذا المنهاج، فأمرت باستمرار قتالهم، وذكرت ما هم عليه من صفات سيئة تحمل المؤمنين على تأديبهم، وأرشدت إلى ما كان عليه رؤساؤهم من أكل لأموال الناس بالباطل، ومن صد عن سبيل الله، قال ﷻ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾ وقال ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤﴾

ج- ثم يأتي الحديث عن المنافقين في زهاء نصف سورة التوبة- أى من أواخر الربع الثالث منها إلى نهاية الربع السابع-وقد أفاضت السورة في الحديث عن ذلك إفاضة لا توجد في غيرها من سور القرآن الكريم.

وقد تركتهم السورة الكريمة- بعد هذا الكشف السافر لأحوالهم عراة من الخير أمام المؤمنين، منبوذين من جماعة المسلمين، مميزين بصفاتهم القبيحة التي فصَّلها القرآن تفصيلا يجعل العقلاء يعرفونهم ويحذرونهم، وذلك ببيان صفاتهم الذميمة، ومسالكهم الخبيثة، والتي منها:

(١) الفرار من مواطن الجد والجهاد، والتعلل بالأعذار الكاذبة، والتستر بالأيمان الفاجرة، وقد حكت السورة عنهم ذلك في مواضع كثيرة منها. قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٤٢﴾

وقوله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١﴾

(٢) إشاعة الفتنة في صفوف الجيش الإسلامى متى وجدوا فيه، أى أن خلو الجيش منهم خير وبركة ووجودهم فيه شر وفتنة. قال تعالى ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَۖ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾

(٣) كراهتهم الخير للرسول ﷺ ولأصحابه، ومحبتهم السوء لهم. قال تعالى: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ٥٠﴾

(٤) تكاسلهم عن أداء الشعائر الدينية بسبب فسوقهم وكفرهم، قال تعالى: ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٣ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٥٤﴾

(٥) تظاهرهم بالإسلام تقية وجبنهم عن التصريح بما هم عليه من كفر. قال تعالى: ﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ٥٦ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـَٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ٥٧﴾

(٦) طعنهم على الرسول– صلى الله عليه وسلم– في قسمة الأموال، وفي توزيع الصدقات بقصد إشاعة التهم الباطلة حوله. قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ٥٨﴾

(٧) وصفهم للرسول ﷺ بأنه أذن– أى يصدق كل ما يقال له بدون تثبت، قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١﴾

(٨) تعاطفهم فيما بينهم وتعاونهم على الإثم والعدوان لا على البر والتقوى. قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾

(٩) سخريتهم من فقراء المؤمنين، لأنهم يتصدقون بالقليل الذي لا يملكون سواه. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

(١٠) نقضهم للعهود، وبخلهم بما آتاهم الله من فضله. قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾}

(١١) اتخاذهم مسجدا لهم لا من أجل العبادة، وإنما من أجل المضارة وإيذاء المسلمين ومحاولة تفريق كلمتهم، وتشتيت وحدتهم. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

د- ثم عاودت السورة الكريمة الحديث عن المؤمنين، وبينت لهم الكثير من التوجيهات والإرشادات، منها أنه في حالة عدم خروج النبي ﷺ معهم للجهاد، عليهم أن يقسموا أنفسهم إلى قسمين: قسم يخرج للجهاد وقسم آخر يبقى مع النبي ﷺ ليتعلم منه العلم ويحفظ عنه ما تجدد من أحكام. قال ﷻ ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

هـ- وأخيراً ختمت السورة الكريمة بهاتين الآيتين الدالتين على سابغ رحمته ﷻ بعباده، حيث أرسل إليهم رسولاً من أنفسهم حريصاً على منفعتهم رحيماً بهم، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾}[1]

(١) انظر في ذلك كله التفسير الوسيط لطنطاوي (٦/ ١٩٢-١٨٥)

## المطلب الثاني: مواضع" أسلوب الإظهار في موضع الإضمار" في سورة التوبة، وأثره في التفسير من خلال تفسير أبي السعود:-

**الموضعان الأول والثاني.**

**قال- تعالى-**﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢﴾

**تفسير الآية الكريمة:-**

**(**﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾: هذا خطاب من الله للمؤمنين مبيّن لما يجب أن يقولوه للمشركين الذين بريء الله ورسوله من عهودهم، أي قولوا لهم: سيروا في الأرض وأنتم آمنون لا يتعرض لكم أحد من المسلمين بقتال مدة أربعة أشهر تبتدئ من عاشر ذى الحجة من سنة تسع للهجرة وهو يوم النحر الذي بلّغوا فيه هذه الدعوة، وتنتهى في عاشر شهر ربيع الآخر من سنة عشر.

والحكمة في تحديد هذه المدة أن يكون لديهم فسحة من الوقت للنظر والتفكر في عاقبة أمرهم، والتخير بين الإسلام والاستعداد للقتال، إذا هم أصروا على شركهم وعدوانهم، وهذا منتهى ما يكون من السجاحة والرحمة والإعذار إلى أعدى أعدائه المحاربين، حتى لا يقال إنه أخذهم على غرة.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢﴾: أي واعلموا أنكم لن تعجزوا الله ولن تفوتوه فتجدوا مهربا منه إذا أنتم أصررتم على شرككم وعدوانكم لله ورسوله، بل سيسلط المؤمنين عليكم ويؤيدهم بنصره الذي وعدهم به، والعاقبة للمتقين فقد جرت سنة الله بخزي الكافرين منكم ومن غيركم في معاداتهم وقتالهم لرسله في الدنيا والآخرة)[1]

(١) تفسير المراغي (١٠/ ٥٤)

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد اشتملت هذه الآية الكريمة على موضعين لأسلوب الإظهار في موضع الإضمار، حيث أظهر اسم الجلالة " الله"، واسم " الكافرين"، فلم يقل " وأنه مخزيكم" بالإضمار بل أظهر لفظ الجلالة ، وكلمة الكافرين في موضع الإضمار، وقد صرح الشيخ أبو السعود بذلك مبيناً فائدة الإظهار في الموضعين فقال (﴿وَأَنَّ اللهَ﴾ وُضع الاسمُ الجليلُ موضِعَ المضمر لتربية المهابةِ وتهويلِ أمر الإخزاءِ- وهو الإذلالُ بما فيه فضيحةٌ وعار، ﴿مُخْزِى الكافرين﴾: أي مخزيكم ومُذِلُّكم في الدنيا بالقتل والأسرِ، وفي الآخرة بالعذاب، وإيثارُ الإظهارِ على الإضمارِ لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالإشراك والإشعار بأن علةَ الإخزاءِ هي كفرُهم)[1]

ومن كلام الشيخ يتضح لنا أن فائدة الإظهار في الموضع الأول هي التفخيم والتهويل للفظ الجلالة، وما يترتب عليه من تربية المهابة في نفوس المقصودين بالكلام وهم الكفار، وأما فائدة الإظهار في الموضع الثاني فهي الذم للكفار، وبيان أن الكفر المظهر هو سبب وقع وعيد الخزي عليهم.

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

لما كان دأب المشركون هو نقض العهود والمواثيق مع المسلمين، وكان التآمر على المسلمين هو ديدنهم، بينت السورة الكريمة أن الله بريء من عهودهم، ورسوله بريء أيضاً، ثم جاءت هذه الآية الكريمة بخطاب فيه ما فيه من الشدة والوعيد المنبيء عنه تهديد المشركين عن طريق إمهالهم فترة أمان لا تتعدى أربعة أشهر، ثم إخبارهم بأنهم لا مفر ولا ملجأ ولا منجا لهم من الله إذا أرادهم، وأخيراً بأن الله اقتضت سنته التي لا تتخلف أن النصرة للمؤمنين، وأن الخزي بالقتل والأسر للمشركين[2]

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٤١)

(٢) غالب هذا الكلام استفدته من تفسير المراغي (١٠/ ٥٢، ٥٣)

لما كان ذلك الموقف فيه ما فيه من أحوال هي إعلان لحالة طواريء، أو حرب وشيكة على أهل الكفر والعداوة، وإعلام بقدرة الله عليهم، وقهره لهم، وخزيهم إياهم، جاء الإظهار في موضع الإضمار في الموضع الأول، فاسم الجلالة فيه ما فيه من الهيبة والتفخيم وإدخال الروع في قلوب الكافرين، وكذا إظهار لفظ " الكافرين" لبيان أن ذلك كله الذي تقدم من الوعيد والتهديد بالأخذ والقتل والأسر سببه إنما هو ما هم عليه من الكفر، وما كان ذلك المعنى ليتحقق إذا لم يكن التعبير بالمظهر في مقام المضمر.

**الموضع الثالث.**

**قوله** ﷻ ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾.

**تفسير الآية الكريمة:-**

(﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾: يقال نكث الغزل والحبل: حلّ الخيوط التي تألّف منها وأرجعها إلى أصلها، والأيمان: العهود، وقد كان كل من العاقدين للعهد يضع يمينه في يمين الآخر.

أي وإن نكث هؤلاء ما أبرمته أيمانهم من الوفاء بالعهد الذي عقدوه معكم، وعابوا دينكم واستهزءوا به وصدّوا الناس عنه، ومن ذلك الطعن في القرآن وفى النبي – صلى الله عليه وسلم– كما كان يفعل شعراؤهم الذين أهدر النبي– صلى الله عليه وسلم– دماءهم فقاتلوهم فهم أئمة الكفر وحملة لوائه المقدّمون على غيرهم بزعمهم، فهم الأجدر بالقتل والقتال.

﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾: أي إن عهودهم لا قيمة لها. فهى مخادعة لسانية لا يقصد الوفاء بها ،...، فما أسرع ما تنقض إذا وجدت الفرصة سانحة.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ أي قاتلوهم رجاء أن ينتهوا بقتالكم إياهم عن الكفر ونكث الأيمان ونقض العهود والعودة إلى قتالكم كلما قدروا عليه.

وفى ذلك إيماء إلى أن القتال لا يكون اتباعا لهوى النفس، أو إرادة منافع الدنيا من السلب والنهب وإرادة الانتقام، وهذه ميزة الإسلام، إذ جعل الحرب ضرورة لإرادة منع الباطل وتقرير الحق)[١]

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد جاء أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في قوله:﴿أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾، فلم يقل " فقاتلوهم" بل أظهر في مقام الإضمار، كما صرح بذلك الشيخ أبو السعود في تفسيره، فقال: (وإنما أوثر مَا عليهِ النظمُ الكريمُ للإيذان بأنهم صاروا بذلك ذوي رياسةٍ وتقدم في الكفر أحقّاءَ بالقتل والقتال)[٢] ، وذكر ذلك أيضاً من المتقدمين البيضاوي- رحمه الله- في تفسيره[٣]، وكذا النسفي- رحمه الله- في تفسيره[٤]

والمراد بأئمة الكفر: الكفار بأسرهم، يعني فقاتلوا جميع الكفار، إلا أنه تعالى خص الأئمة والسادة منهم الذكر، لأنهم هم الذين يحرضون الأتباع على هذه الأعمال الباطلة[٥] أو (هم رؤساء الشرك أو زعماء قريش الذين هموا بإخراج الرسول)[٦] أو هم (الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ)[٧]

---

(١) تفسير المراغي (١٠/ ٦٥، ٦٦). مع حذف يسير في النقل.

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٤٧).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٧٣)

(٤) انظر: المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ). (٦٦٧/١).حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي. راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو. الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

(٥) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٥/ ٥٣٥). وكذا المصدر السابق للبيضاوي.

(٦) تفسير النسفي. (٦٦٧/١).

(٧) التحرير والتنوير (١٠/ ١٣٠)

والغرض من إظهار " أئمة الكفر"، والتصريح به ما صرح به الشيخ أبو السعود، وهو (للإيذان بأنهم صاروا بذلك ذوي رياسةٍ وتقدم في الكفر أحقّاءَ بالقتل والقتال)[1]، فالإظهار فيه تسجيل لذلك الوصف عليهم، – وفيه ذمهم– وبيان أنه سبب للحكم السابق وهوجعلهم أحق بالقتل.

فقد أفاد هذا الأسلوب التشنيع على هؤلاء الكفار الَّذِينَ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ فصاروا بذلك ذوي الرئاسة والتقدم في الكفر أحقاء بالقتل، فقد كانوا قُدْوَةٌ لِغَيْرِهِمْ، لِأَنَّ الَّذِينَ أَضْمَرُوا النَّكْثَ يَبْقُونَ مُتَرَدِّدِينَ بِإِظْهَارِهِ، فَإِذَا ابْتَدَأَ بَعْضُهُمْ بِإِظْهَارِ النَّقْضِ اقْتَدَى بِهِمُ الْبَاقُونَ، فَكَانَ النَّاقِضُونَ أَئِمَّةً لِلْبَاقِينَ[2]

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

لما كان الكلام في معرض التهديد للكفار الذين لا عهد لهم ولا ميثاق، الطاعنين في دين الإسلام ونبيه ﷺ، وربه ﷻ، وكان القتل هو مصيرهم المنتظر، ما لم ينتهوا، ناسب ذلك كله أن يكون الأسلوب فيه ما يفيد مزيد علة ذلك القتل فجاء بيان أنهم رؤساء في الكفر، لهم الصدارة فيه والاقتداء بهم في العناد، فصاروا بذلك حقيقين بالقتل، ولذا عبر بهذا الإسلوب دون الاكتفاء بذكر ضميرهم، الذي ما كان يفيد سوى أنهم إن داوموا على النقض والخلف والطعن فاقتلوهم، وشتان بين الأسلوبين.

**الموضع الرابع: قوله ﷻ** ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾

**تفسير الآية الكريمة، وعلاقتها بما قبلها:-**

بعد أن أمر سبحانه بقتال أئمة الكفر– كما تقدم في آية الموضع السابق– ذكر السبب الذي يبعث على قتالهم، وعدد فوائد ذلك القتال، وبين أن منها إذهاب غيظ

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٤٧)

(٢) انظر في ذلك كلام كلٍ من: تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٧٣)، التحرير والتنوير (١٠/ ١٣٠).

المؤمنين، وتوبة الله على من شاء من الكافرين بعد[١]

معنى قوله ﷻ ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ﴾ (ويذهب غيظ قلوب هؤلاء القوم المؤمنين ويزيل كربها وغمها، لأن الشخص الذي طال أذى خصمه له. ثم مكنه الله منه على أحسن الوجوه فإن هذا الشخص في هذه الحالة يعظم سروره، ويفرح قلبه، ويتحول غيظه السابق إلى غبطة وارتياح نفسي)[٢]

وقوله- تعالى- ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٥﴾ أى(ويتوب الله على من يشاء أن يتوب عليه من عباده فيوفقه للإيمان، ويشرح صدره للإسلام، والله- تعالى- عليم بسائر شئون خلقه، حكيم في كل أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته، فامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، لتنالوا السعادة في دنياكم وآخرتكم)[٣]

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد تضمنت هذه الآية الكريمة أسلوب الإظهار في مقام الإضمار، وذلك في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾، حيث أظهر اسم الجلالة ، ولم يؤت بالضمير بدلاً منه، فلم يقل " وهو عليم حكيم"، مع سبق ما يصح عود الضمير عليه، وهو تقدم ذكر لفظ الجلالة في قوله- تعالى- " يعذبهم الله".

قال أبو السعود- رحمه الله- (إيثارُ إظهارِ الجلالة على الإضمار لتربية المهابةِ وإدخالِ الروعة)[٤] ، وقد ذكر ذلك الآلوسي في تفسيره نقلاً عن شيخه أبي السعود[٥].

---

(١) هذا الربط مستفاد من النظر في: تفسير المراغي (١٠/ ٦٦) التفسير الوسيط لطنطاوي (٦/ ٢٢٣)

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (٦/ ٢٢٤)

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (٦/ ٢٢٤)

(٤) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٤٩)

(٥) انظر تفسير الألوسي = روح المعاني (٥/ ٢٥٧)

وكلام الشيخ–رحمه الله– يفيد أن الإضمار خيار جائز، أو هو الأصل، حيث عبر بكلمة " وإيثار"، ولكن النظم عدل عن ذلك إلى الإظهار، لفائدة هامة، وغاية تامة، وهي تربية المهابة، وإدخال الروعة في قلوب المخاطب، لأن لفظ الجلالة فيه ما فيه من الجلال، والهيبة، والقوة، والفخامة.

**أثر الأسلوب في التفسير:–**

لما كان الحال حال كلامٍ عن القتال والأمر به للمؤمنين ضد الكافرين الناكثين، وبيان أن ذلك فيه فوائد جليلة، من ذهاب هم وغم المؤمنين، وذلك بنصرتهم على أولائك الذين آذوهم طوال حياتهم، والقتالُ فيه ما فيه من البأس والقوة، والمجالدة، ولعل هناك من المسلمين من يدخله الروع أو الخوف، أو تداخله الشفقة على بعض أولائك الكافرين، فمن أجل ذلك كله كان الحال مقتضياً التصريح بلفظ الجلالة الذي يفيد الجلال والهيبة، فيزدجر من في قلبه نية مواصلة عداوة المسلمين، وينتهي من قد يخور أو يضعف عن القتال من المسلمين.

أو نقول: لما كان تذييل الآية الكريمة معناه أن الله ﷻ عليم بكل شيء، حكيم في كل أفعاله وأحواله، وكان لازم ذلك الخبر هو الوعد والوعيد، فالوعد لمن علم أن الله عليم حكيم فامتثل، والوعيد لمن خالف وعصى، فكان المناسب في هذا التذييل الإتيان بلفظ الجلالة مظهراً حتى يتلائم مع ما تفيده الجملة من التهديد والوعيد.

**الموضع الخامس.**

قوله ﷻ ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

**تفسير الآية الكريمة:–**

(﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في قضائه وقدره. ﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾، وهي

هذه الشهور المعروفة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي في حكمه القدري، ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وأجرى ليلها ونهارها، وقدر أوقاتها فقسمها على هذه الشهور الاثني عشر شهرا . ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ وهي: رجب الفرد، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وسميت حرما لزيادة حرمتها، وتحريم القتال فيها. ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ يحتمل أن الضمير يعود إلى الاثني عشر شهرا، وأن الله تعالى بين أنه جعلها مقادير للعباد، وأن تعمر بطاعته، ويشكر الله تعالى على مِنَّتِهِ بها، وتقييضها لمصالح العباد، فلتحذروا من ظلم أنفسكم فيها. ويحتمل أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم، وأن هذا نهي لهم عن الظلم فيها، خصوصا مع النهي عن الظلم كل وقت، لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها،....، ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ أي: قاتلوا جميع أنواع المشركين والكافرين برب العالمين. ولا تخصوا أحدا منهم بالقتال دون أحد، بل اجعلوهم كلهم لكم أعداء كما كانوا هم معكم كذلك، قد اتخذوا أهل الإيمان أعداء لهم، لا يألونهم من الشر شيئا،...، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بعونه ونصره وتأييده، فلتحرصوا على استعمال تقوى الله في سركم وعلنكم والقيام بطاعته، خصوصا عند قتال الكفار)[1]

ولكن لابد من معرفة أن المسلمين أمروا بكف الظلم في هذه الأشهر، ولكن في ذات الوقت أمروا بالقتال فيها إذا بدأهم أعداؤهم بالقتال، لا أن يستكينوا ويضعفوا أمام الكفار لعلة أنهم في أشهرٍ منعوا فيها من القتال، فالنهي مداره على البدء بالقتال من جهتهم أما إن بدأهم أعدؤهم بالحرب، حاربوهم وقاتلوهم، وهو المراد بقوله ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). (ص: ٣٣٦). المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م. بتصرف يسير في النقل.

كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾، وَتَعْلِيلُهُ بِأَنَّ الكفار يَسْتَحِلُّونَ تِلْكَ الْأَشْهُرَ فِي قِتَالِهِمُ الْمُسْلِمِينَ(١)

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد اشتملت الآية الكريمة على أسلوب الإظهار في مقام الإضمار، وذلك عند كلمة " المتقين" من قوله- تعالى- ﴿واعلموا أَنَّ الله مَعَ المتقين﴾، فلم يقل " واعلموا أَنَّ الله مَعَكم" مع أن النظم يحتمله، فالكلام سبق فيه خطاب المؤمنين {لَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً}، فيصح عود الضمير على المؤمنين، لكن النظم جاء على خلاف ذلك فأبرز وأظهر في موضع الإضمار، ووصف المؤمنين بصفة عالية غالية، وهي التقوى فقال " المتقين".

قال الشيخ أبو السعود (﴿واعلموا أَنَّ الله مَعَ المتقين﴾ أي معكم بالنصر والإمداد فيما تباشِرونه من القتال وإنما وضع المُظهرُ موضعَه مدحاً لهم بالتقوى وحثاً للقاصرين عليه وإيذاناً بأنه المدارُ في النصر وقيل هي بشارةٌ وضمانٌ لهم بالنصرة بسبب تقواهم)(٢)

وقال البقاعي موضحاً أصل الكلام، ومجيئه على خلاف الأصل فقال (﴿واعلموا أن الله﴾ أي الذي له جميع العظمة "معكم"، هكذا كان الأصل ولكنه أظهر الوصف تعليقاً للحكم به وتعميماً فقال: ﴿مع المتقين﴾ جميعهم، وهم الذين يثبتون تقواهم على ما شرعه لهم، لا على النسيء ونحوه، ومن كان الله معه نصر لا محالة)(٣)، وقد ذكر الآلوسي هذا الأسلوب في تفسيره نقلاً عن أستاذه أبي السعود، فقال: (وإنما وضع المظهر موضع المضمر مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين على ذلك وإيذانا بأنه المدار في النصر،

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٧)
(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٦٤)
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٤٥١)

وقيل: هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم)[1]، وكذا صرح بهذا الأسلوب الطاهر في التحرير[2]

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

لما كان الكلام عن معسكري الكفر والإيمان باقياً، والحديث عن القتال واحتماله بينهما قائماً، وأن النصر في العقل والمنطق حليف فريق لا الفريقين، ونصيب معسكر لا المعسكرين، بين الله- تعالى- أن النصر والمدد والمعونة منه للفريق الذي تتوافر فيه صفة عظيمة، وهي التقوى، فوضع المظهر موضع المضمر، ولم يقل " معكم"، لأنه حينئذ يفيد الكلام مجرد أن الله مع الموصوفين بما ذكر في الآية بأنهم لم يظلموا في تلك الأشهر أنفسهم، وإنما قال " المتقين" بالإظهار مدحاً لهم بإثبات صفة التقوى لهم، وبيان أنهم جديرون بالنصر والمعونة من الله بسبب تقواهم لله- تعالى-، وأنهم بما وصفوا بِالْحَالِ الْمَحْكِيَّةِ فِي الْكَلَامِ السَّابِقِ مَعْدُودُونَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُتَّقِينَ، أو أفاد الإظهار أن الله سنته اقتضت أن النصر للمتقين من عباده وأنتم بما حكي من حالكم من عدم الظلم لأنفسكم ولغيركم حزتم صفة التقوى، ودخلتم في زمرتهم فأبشروا بالنصر والمدد والمعونة مني، وذلك فيه ما فيه من شحذ الهمم على الثبوت على التقوى، وبذل الجهد من المقصرين المتكاسلين للوصول إلى درجة إخوانهم الموصوفين بأنهم متقون، ليكونوا مثلهم في التقوى .

قال الطاهر بن عاشور (الْجُمْلَةُ بِمَنْزِلَةِ التَّذْيِيلِ لِمَا قَبْلَهَا مِنْ أَجْلِ مَا فِيهَا مِنَ الْعُمُومِ فِي الْمُتَّقِينَ، دُونَ أَنْ يُقَالَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَكُمْ لِيَحْصُلَ مِنْ ذِكْرِ الِاسْمِ الظَّاهِرِ مَعْنَى الْعُمُومِ، فَيُفِيدُ أَنَّ الْمُتَّصِفِينَ بِالْحَالِ الْمَحْكِيَّةِ فِي الْكَلَامِ السَّابِقِ مَعْدُودُونَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُتَّقِينَ، لِئَلَّا يَكُونَ ذِكْرُ جُمْلَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ غَرِيبًا عَنِ السِّيَاقِ، فَيَحْصُلُ مِنْ ذَلِكَ كَلَامٌ مُسْتَقِلٌّ يَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ وَإِيجَازٌ يُفِيدُ أَنَّهُمْ حِينَئِذٍ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُهُمْ

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني (٥/ ٢٨٥)
(٢) انظر التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٨)

لِتَقْوَاهُمْ، وَأَنَّ الْقِتَالَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ طَاعَةٌ لِلَّهِ وَتَقْوَى، وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ حِينَئِذٍ هُمُ الْمُعْتَدُونَ عَلَى حُرْمَةِ الْأَشْهُرِ، وَهُمُ الْحَامِلُونَ عَلَى الْمُقَابَلَةِ بِالْمِثْلِ لِلدِّفَاعِ عَنِ النَّفس)[1]

**الموضع السادس: قوله ﷻ** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

**تفسير الآية الكريمة:-**

إن (هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك فقد بلغ النبي- صلى الله عليه وسلم- أن هرقل ملك الروم قد جمع جموعه لحرب الرسول- صلى الله عليه وسلم-، فأعلن النبي- صلى الله عليه وسلم- التعبئة العامة، وكان الزمن صيفا حارا وبالبلاد جدب ومجاعة، وكان ذلك في شوال من سنة تسع، وسميت هذه الغزوة بغزوة العسرة فاستحث الرب- تبارك وتعالى- المؤمنين ليخرجوا مع نبيهم لقتال أعدائه الذين عزموا على غزوه في عقر داره فأنزل تعالى قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ والقائل هو رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ﴿ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي اخرجوا للجهاد ﴿في سبيل الله﴾ أي لأجل رضاه سبحانه وتعالى وما عنده من نعيم مقيم. وقوله ﴿مالكم﴾ أي: أي شيء يجعلكم لا تنفرون؟ وأنتم المؤمنون طلاب الكمال والإسعاد في الدارين. وقوله ﴿إثاقلتم إلى الأرض﴾ أي تباطأتم عن الخروج راضين ببقائكم في دوركم وبلادكم. ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ ينكر تعالى على من هذه حاله منهم، ثم يقول لهم ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي ما كل ما يوجد فيها من متع على اختلافها بالنسبة إلى ما في الآخرة من نعيم مقيم في جوار رب

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٨)

العالمين ﴿إلا قليل﴾ تافه لا قيمة له؛ فكيف تؤثرون القليل على الكثير والفاني على الباقي)[1]

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد تضمنت هذه الآية الكريمة أسلوب الإظهار في مقام الإضمار، وذلك حيث أظهر " الحياة الدنيا" في قوله- تعالى- " فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل"، ولم يقل " فما متاعها"، مع أنه تقدم ذكر " الحياة الدنيا"، فصح عود ضميرها إليها لو قال " متاعها". قال الشيخ أبو السعود في ذلك (﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أظهر في مقام الإضمارِ لزيادة التقرير أي فما التمتعُ بها وبلذائذها ﴿في الاخرة﴾ أي في جنب الآخرة ﴿إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ أي مستحقَرٌ لا يُؤبَه له)[2]، وقد ذكر الإظهار في موضع الإضمار هنا العلامة القاسمي في تفسيره، فقال (﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أظهر في مقام الإضمار لزيادة التقرير، أي فما التمتع بلذائذها فِي الْآخِرَةِ أي في جنب الآخرة أي إذا قيست إليها، ....، ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي مستحقر لا يؤبه له)[3]. وقد ذكر أن الآية فيها أسلوب الإظهار العلامة الآلوسي في تفسيره[4] تبعاً لشيخه أبي السعود.

وفائدة ذلك الإظهار وسره هو التقرير للمعنى المراد من الكلام وهو أن الدنيا بمتعها ونعيمها مقارنة بما عند الله في الآخرة قليل، لأن نعيم الدنيا زائل، ونعيمها فان.

---

(١)- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري. (٢/ ٣٦٩). الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. عدد الأجزاء: ٥

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٦٥)

(٣) تفسير القاسمي = محاسن التأويل. المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ). (٥/ ٤١٧).

المحقق: محمد باسل عيون السود. الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت. الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ

(٤) انظر تفسير الألوسي = روح المعاني (٥/ ٢٨٧)

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

الآية الكريمة تتحدث عن أولئك الذين ربما تكاسلوا وتقاعصوا عن الخروج مع سيدنا النبي ﷺ للجهاد، فهي تعاتبهم بلهجةٍ شديدة حتى يزدجروا ويتوبوا ويكونوا عبرةً لمن قد يقدمون على مثل صنيعهم، فيرجعون عن ذلك، ولما كان السبب الرئيس للتكاسل والتباطيء عن القتال إنما هو حب الدنيا والتمسك بنعمها، جاء بيان أن الدنيا كلها بما فيها من نعيم مقارنة بما أعده الله ﷻ للمؤمنين، ومن جملتهم المجاهدين الصادقين، إنما هو شيء حقير لا قيمة له ولا وزن بل هو لا شيء أصلاً، ولما كان نعيم الآخرة بعيداً غير مشاهد ولا معاين، فهو من الغيبيات، وكان نعيم الدنيا الفاني قريباً محسوساً محضوراً فهو من المشاهدات، كان لابد من تأكيد ذلك المعنى وتقريره، فجيء بالإظهار في مقام الإضمار حتى يستقر في ذهن كل عاقل، ويتأكد في عقل كل فاهم أن ما عند الله خير وأبقى وإن كان غير مشاهد بعيدا، وأن ما في الدنيا من لذات فانٍ لا وزن له ولا قيمة له أصلاً حتى وإن كان محضوراً قريباً، فيكون ما يكون من غرض الآية القرآنية من حث المسلمين على الجهاد، والإقبال على الله وطاعة رسول الله ﷺ، وترك التخاذل والتكاسل عن النصرة والجهاد.

وكل ذلك ما كان ليتأتى لو عبر بالمضمر وقيل " فما متعاها في الآخرة إلا قليل" فالنظم على هذا لن يكون فيه من القوة التي يقتضيها هذا المقام الجلل، فألفاظه ضئيلة قليلة، تناسب الكلام عن حال الدعة والسلام لا حال الاستنفار للحرب والقتال.

**الموضع السابع.**

**قوله ﷻ** ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

**تفسير الآية الكريمة:-**

(ما زال السياق الكريم في فضح نوايا المنافقين وكشف الستار عنهم فقال تعالى ﴿لوخرجوا فيكم﴾ أيها الرسول والمؤمنون أي إلى غزوة تبوك ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾

أي ضررا وفساداً وبلبلة لأفكار المؤمنين بما ينفثونه من سموم القول للتخذيل والتفشيل، ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ أي أسرعوا ركائبهم ﴿خِلَٰلَكُمْ﴾ أي بين صفوفكم بكلمات التخذيل والتثبيط ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ بذلك ﴿الفتنة﴾ وهي تفريق جمعكم وإثارة العداوة بينكم بما يحسنه المنافقون في كل زمان ومكان من خبيث القول وفاسده، وقوله تعالى ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ أي وبينكم أيها المؤمنون ضعاف الإيمان يسمعون منكم وينقلون لهم أخبار أسراركم كما أن منكم من يسمع لهم ويطيعهم ولذا وغيره كره الله انبعاثهم وثبطهم فقعدوا مع القاعدين من النساء والأطفال والعجز والمرضى، وقوله تعالى ﴿والله عليم بالظالمين﴾ الذين يعملون على إبطال دينه وهزيمة أوليائه. فلذا صرفهم عن الخروج معكم إلى قتال أعدائكم من الروم والعرب المتنصرة بالشام)[1]

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد تضمنت الآية الكريمة أسلوب الإظهار في موضع الإضمار، وذلك في كلمة " الظالمين" في قوله- تعالى- " والله عليم بالظالمين". قال الشيخ أبو السعود عند قوله- تعالى- ﴿والله عَلِيمٌ بالظالمين﴾:( ووضعُ المظهرِ موضعَ المضمرِ للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والإشعارِ بترتّبه على الظلم ولعله شاملٌ للفريقين السّماعين والقاعدين)[2]

وأصل الكلام أن يقال " والله عليم بهم"، إثباتاً لضمير الغائبين العائد على من ذكر حالهم قبل من المنافقين الذين أقعدوا مع القاعدين والمثبطين للمؤمنين، الباغين إياهم الفتنة والوقيعة والخلف في صفوفهم، ولو كان ذلك كذلك لصح لغةً، قال الإمام البقاعي (﴿والله﴾ أي الذي أخبركم بهذا من حالهم وله الإحاطة بكل شيء ﴿عليم﴾ بهم،...

(١) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٣٧٥، ٣٧٦)

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٧١)

هكذا كان الأصل وإنما قال: ﴿بالظالمين﴾ إشارة إلى الوصف الذي أوجب لهم الشقاء بمنعهم عن موطن الخير)[١]

وقال الشيخ المرحوم أبو زهرة- رحمه الله- ((وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) أي أن الله تعالى عليم بهم وبنياتهم، وما يطوونه في جنوبهم من إرادة الشر بالمؤمنين، وأظهر في موضع الإضمار لتسجيل الظلم عليهم، وأن الظالمين لن يفلحوا أبدا)[٢]

وقد ذكر أن الآية فيها إظهار في موضع الإضمار العلامة الآلوسي أيضاً[٣]

لكن النظم عدل عن ذلك إلى الإظهار في موضع الإضمار ، تشنيعاً بصنيعهم بتسجيل الظلم عليهم، وبيان أن الوعيد المذكور في الآية الكريمة والمشار إليه بالإخبار بأن الله وحده محيط بكل شيءٍ فلا يخفى عليه شيء، إنما هو مترتب على ظلمهم، فظلمهم معلِل للوعيد المذكور في الآية ومرتِب له، ولو استغني عن هذا الأسلوب، وأثبت الضمير العائد إلى أولئك المنافقين، لما تحققت كل هذه المعاني، ما خلا الوعيد لهم على سوء صنيعه، وأما إثبات الظلم لهم، وبيان أنه سبب في سوء عاقبتهم، واستحقاقهم للوعيد لم يكن ليبدو منه للناظر شيء[٤]

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

مازالت السورة الكريمة تبين لنا جانباً من مواقف المنافقين الشنيعة، وأفعالهم الخبيثة تجاه معسكر المسلمين، وقد ذكرت لنا هذه الآية أن المنافقين الذين قد كره الله خروجهم

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٤٩٢). مع حذف يسير في النقل.

(٢) زهرة التفاسير. المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ).(٦/ ٣٣٢٣). دار النشر: دار الفكر العربي.

(٣) انظر تفسير الألوسي = روح المعاني (٥/ ٣٠٤)

(٤) هذا مستفاد من كلام كل من: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٧١). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٤٩٢)
زهرة التفاسير.( ٦/ ٣٣٢٣). تفسير الألوسي = روح المعاني (٥/ ٣٠٤)

للجهاد مع سيدنا النبي ﷺ، ومع المسلمين، لو كانوا قد خرجوا ما كان منهم إلا محاولاتهم المستميتة من نشر الفوضى والخلل بين صفوف المسلمين، وبذل الجهد لنشر الوقيعة والفتنة بينهم، ولما كانت هذه الأفعال على غاية من السوء والمعصية، ذيلت الآية بما يخبر أن الله تعالى محيط بأعماهم، مطلع على قبح صنيعهم، وأنه مجازيهم عليها، وهذا فيه ما فيه من التهديد والوعيد، لكن النظم أضاف ملمحاً آخر، فيه إضافةً أخرى تبين سبب فعلهم لتلك الشنائع وهو أنهم قد بلغوا مرتبة الظلم، وتبين أنهم إنما استحقوا هذا الوعيد الشديد بسبب أنهم ظالمون، ولذا عبر بإظهار لفظ " الظالمين" دون الاستغناء عنه بضمير الغائبين.

**الموضع الثامن.**

**قوله** ﷻ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

**تفسير الآية الكريمة:-**

ما زال السياق في الحديث عن المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك ، وكان المنافقون يتعللون بكل علة صادقه أو كاذبة، بل إنهم لم يتعللوا بصادق، لأنهم يريدون التعويق، وهول القتال قد أفزعهم، وبعد الشُّقة قد أقعدهم، فجاءت الآية تمثل ضروب معاذيرهم الواهية التي لَا تقنع، إنما هو عدم الإيمان، وفزع النفاق، حيث قالوا " وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ " أي: ومن هؤلاء المنافقين من يستأذن في التخلف، ويعتذر بعذر آخر عجيب وهو خشية فتنة النساء في الرومان لجمال نسائهم، ولأجل ذلك خير لنا أن لا نخرج للقتال والجهاد(١).

فقال الله- تعالى- (مبينا كذب هذا القول: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ فإنه على تقدير صدق هذا القائل في قصده، فإن في التخلف مفسدة كبرى وفتنة عظمى محققة، وهي

(١) انظر في ذلك كله كلاً من: زهرة التفاسير (٦/ ٣٣٢٤). أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٣٧٨).

معصية الله ومعصية رسوله، والتجرؤ على الإثم الكبير، والوزر العظيم، وأما الخروج فمفسدة قليلة بالنسبة للتخلف، وهي متوهمة، مع أن هذا القائل قصده التخلف لا غير، ولهذا توعدهم الله بقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ليس لهم عنها مفر ولا مناص، ولا فكاك، ولا خلاص)[1]

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد جاء في هذه الآية الكريمة أسلوب الإظهار في مقام الإضمار، وذلك حيث أظهر لفظ " الكافرين" في موضع إضماره، ولم يقل " بهم"، كما صرح بذلك الشيخ أبو السعود فقال عند تفسير قوله ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (والمرادُ بالكافرين إما المنافقون وإيثارُ وضعِ المُظْهر موضعَ المُضمَرِ للتسجيل عليهم بالكفر والإشعارِ بأنه معظمُ أسبابِ الإحاطة المذكورة وإما جميعُ الكافرين الشاملين للمنافقين شمولاً أولياً)[2]

وقد صرح الشيخ البقاعي بأن مقتضى الظاهر أن يضمر، فعدل عنه إلى الإظهار لنكتة، فقال (﴿وإن جهنم لمحيطة﴾ أي بسبب إحاطة الفتنة – التي أسقطوا أنفسهم فيها – بهم، وإنما قال: ﴿بالكافرين﴾تعميماً وتنبيهاً على الوصف الذي حملهم على ذلك)[3]

وقال الشيخ المرحوم أبو زهرة– أيضاً– (وأظهر سبحانه في موضع الإضمار فلم يقل: " لمحيطة بهم " بل قال (لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ) لبيان سبب هذا العذاب الأليم وهو الكفر، وقانا الله تعالى شر النفاق وأهله)[4]

وممن ذكر الإظهار في مقام الإضمار في الآية أيضاً الشيخ الآلوسي نقلاً عن شيخه أبي السعود، والشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيرهما[5]

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٣٩)

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٧٢)

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٤٩٤، ٤٩٥).

(٤) زهرة التفاسير (٦/ ٣٣٢٥)

(٥) انظر: تفسير الألوسي = روح المعاني (٥/ ٣٠٥). التحرير والتنوير (١٠/ ٢٢١)

وقد بين كل هؤلاء المفسرين فائدة الإظهار في الجملة الكريمة، وهو التشنيع على هؤلاء المنافقين بوصفهم بصفة أخرى قبيحة تضاف إلى كونهم منافقين وهي الكفر، مع بيان أن الباعث على ارتكابهم لتلك الشنائع من التخلف عن الغزو والجهاد مع سيدنا النبي- صلى الله عليه وسلم-، وغيره إنما هو الكفر، وأخيراً بيان أن سبب أو معظم أسباب استحقاقهم للوعيد المثبت في الجملة، وهو خلودهم في النار وإحاطتها بهم إنما هو كفرهم، ولو أضمر واكتفي بالضمير العائد على المنافقين لما تحقق مثل هذا الفوائد البليغة.

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

لما كان الكلام عن المنافقين،و مبيناً جانباً من موقفهم اللئيم، وهو التخلف عن الغزو مع النبي الكريم، لأعذار واهيةٍ لها مختلقين، وجاء التذييل الجليل مقروناً بالوعيد لهم والتهديد الأكيد بخلودهم في النار، وإحاطتها بهم إلى أبد الآبدين، جيء بأسلوب الإظهار في مقام الإضمار ليبن لهم ولنا أنهم لفظاعة فعلهم، وشناعة صنيعهم محكوم عليهم بالكفر، الذي هو سبب في الوعيد المذكور، وأن الذي حملهم على ما أقدموا عليه من اختلاق العلل الواهية، والأعذار الكاذبة بقصد تخذيل المسلمين، وترك سيدنا النبي ﷺ وحد في الجهاد طمعاً في أن يُغلب، وأملاً منهم في أن يُهزم، إنما هو الكفر المنعوتين به في الآية، فأفاد الإظهار مزيدَ ذمهم، وعلةَ فعلهم، وسببَ الوعيد لهم، ولو أنه قيل " لمحيطة بهم" بترك الإظهار لما فهمنا من الجملة سوى أن الله يتوعدهم على صنيعم بإحاطة النار بهم، ولفات علينا زيادة ذمهم بوصفهم بالكفر بعد النفاق، ولفات علينا أن الحامل عليهم في تخلفهم عن الجهاد هو كفرهم، وأن سبب وعيدهم أو معظم أسباب توعدهم-لأن نفاقهم وحده أو تعمدهم التخلف عن الجهاد مع سيدنا النبي كاف في تحقق الوعيد المذكور لهم- هو كفرهم، الذي من جملته نفاقهم وما كان منهم من تخلفهم عن الجهاد.

**الموضع التاسع. قوله ﷻ** ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

**تفسير الآية الكريمة:-**

ما زال السياق في الحديث عن المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك، وفي هذا الآية الكريمة (علم الله- سبحانه وتعالى- رسوله ما يقوله إغاظة لأولئك المنافقين وإخبارا لهم بما يسؤهم فقال ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ﴾ أي من حسنة أو سيئة إلا ما كتب الله لنا وما يكتبه ربنا لنا لن يكون إلا خيرا لأنه مولانا ﴿وعلى الله فيلتوكل المؤمنون﴾ ونحن مؤمنون وعلى ربنا متوكلون)[1]

وَجُمْلَةُ "وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَعْطُوفَةً عَلَى جُمْلَةِ قُلْ فَهِيَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى خَبَرًا فِي مَعْنَى الْأَمْرِ، أَيْ قُلْ ذَلِكَ وَلَا تَتَوَكَّلُوا إِلَّا عَلَى اللَّهِ دُونَ نُصْرَةِ هَؤُلَاءِ، أَيِ اعْتَمِدُوا عَلَى فَضْلِهِ عَلَيْكُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ من تمامِ الكلامِ المأمورِ به مَعْطُوفَةً عَلَى جُمْلَةِ لَنْ يُصِيبَنا أَيْ قُلْ ذَلِكَ لَهُمْ، وَقُلْ لَهُمْ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتَوَكَّلُونَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، أَيْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُ مُؤَيِّدُهُمْ، وَلَيْسَ تَأْيِيدُهُمْ بِإِعَانَتِكُمْ، وفي هذه الحال يكون فائدة أسلوب الإظهارُ للاسمِ الجليلِ في مقام الإضمارِ أظهر وأوقع[2]

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد جاء أسلوب الإظهار في موضع الإضمار هنا في لفظ الجلالة " الله" من قوله " وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"، ولم يقل " وعليه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"، قال الشيخ أبو السعود

(١) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٣٧٨، ٣٧٩)

(٢) انظر في ذلك كلاً من: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٧٣). تفسير الألوسي = روح المعاني (٥/ ٣٠٦). التحرير والتنوير (١٠/ ٢٢٣).

عند قوله- تعالى- " وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"،(فإظهارُ الاسمِ الجليلِ في مقام الإضمارِ لإظهار التبرُّكِ والتلذذِ به)(١) ، وقد ذكر ذلك أيضاً الآلوسي في تفسيره(٢)

وفائدة أسلوب الإظهار لاسم الجلالة هنا هو التبرك به، والتلذذ بذكره، وما كان ذلك ليكون لو أقيم ضميره، وقيل " وعليه"، مع أن النظم يساعده فقد سبق ذكر لفظ الجلالة في الآية في قوله " كتب الله لنا"، " هو مولانا"، ولكن المقام أليق بإظهار لفظ الجلالة كما سيأتي.

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

لقد كانت غزوة تبوك من الغزوات التي لابستها أحوال عسيرة، من حر شديد، وضيق بالحال، ووسط ذلك كله يضرب المنافقون بالتقاعص والتخذيل والفرار، فالموقف عصيب، والأمر خطير، ولكن الله ﷻ يأمر نبيه أن يثبت المؤمنين بأن يخبرهم عن اللهﷻ أنه لن يكون في ملك الله إلا ما أراده، ولن يصيبهم إلا ما قدر لهم، وما دام ذلك كذلك، فعليكم أيها المؤمنون الصادقون أن تتوكلوا على الله وحده، ولذلك أظهر لفظ الجلالة حتى يلائم هذه الحال النفسية التي كانت ربما تحيط بالمسلمين، ومحاولات الإحباطات المتكررة من أعدائهم المحيطة بهم، فالموقف يحتاج إلى التذكير صراحة بمن يكون من عنده الغوث والمدد، ومن بيده كل شيء، القادر على كل شيء، والقاهر لكل شيء، وهو اللهﷻ، فهو وحده الذي ينصركم ويؤيدكم، لا أولئك المنافقون المخذلة من الناكثون، فعند التصريح باسم الجلالة تحضر كل هذه المعاني القوية وتحضر شقيقاتها معها، وهذا فيه ما فيه من المدد الروحاني، والغوث الإلهي، والطمأنة لقلوب المسلمين، والتسكين لنفوس المؤمنين، بخلاف ما لو جرى النظم على نسق الإتيان بالضمير فيقال" هو مولانا وعليه فليتوكل المؤمنون"، فالضمير "هو" ليس فيه نفس قوة اللفظ "الله" تلك القوة التي يستجلبها ذلك الموقف العسير الذي كان فيه المسلمون، وقد سماها القرآن ساعة العسرة.

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٧٣)

(٢) انظر تفسير الألوسي = روح المعاني (٥/ ٣٠٦)

**الموضع العاشر.**

**قوله** ﷻ ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾

**تفسير الآية الكريمة:-**

(إن المنافقين ينعزلون عن الجماعة المؤمنة، فهم في نفرة عنهم، ويكونون أنفسهم جماعة موحدة يجمعها فكر عام موحد يناقض الجماعة العامة التي يعيشون فيها، فلا يرضيهم ما يُرضي الجماعة بل يخالفونها، ويناقضونها فيما تفكر وفيما تعمل، فقد عزلوا أنفسهم عنها، فإذا كانت الجماعة العامة متضافرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم عكسوا، معروفهم منكر عند جماعة المؤمنين، ومنكرهم هو المعروف،....، ولذا فقد بين اللهﷻ في هذه الآية أنهم كلٌ متصل الأجزاء، ولايتهم واحدة وتناصرهم واحد)[1] فقال ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۘ﴾، وذكرهم أيضاً بصفاتهم العامة التي ، الذي لا يخرج منها صغير هم ولا كبيرهم ، فقال: (﴿بِٱلْمُنكَرِ﴾. وهو الكفر والفسوق والعصيان.﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهو الإيمان، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، والآداب الحسنة. ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ﴾ عن الصدقة وطرق الإحسان، فوصفهم البخل.﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ فلا يذكرونه إلا قليلا ﴿فَنَسِيَهُمْۚ﴾ من رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار، خالدين فيها مخلدين)[2]

ثم ذيلت الآية ببيان حالهم، والحكم عليهم، فقالت: (﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ أي إن المنافقين الناكبين عن الصراط المستقيم إلى سبيل الشيطان

(١) زهرة التفاسير (٧/ ٣٣٦٢). مع تصرف يسير في النقل.

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٤٣)

هم أكثر الناس فسوقا وخروجا من جميع الفضائل، حتى من الكفار الذين يعتقدون صحة عقائدهم الباطلة، فهم لا يبلغون مبلغهم في الفسوق والخروج من طاعة الله والانسلاخ من فضائل الفطر السليمة)[١]

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد جاء في هذه الآية إظهار في مقام الإضمار، حيث أظهر " المنافقين"، في قوله ﷻ ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾، ولم يكتفى بضميرهم، بأن يقال ﴿إنهم هم الفاسقون﴾، مع تقدم ذكرهم في الآية " ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ "، فيصح عود الضمير عليهم، قال الشيخ أبو السعود عند قوله:﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾: (والإظهارُ في موقعِ الإضمارِ لزيادةِ التَّقريرِ)[٢]

وقال صاحب نظم الدرر: (فقال مظهراً موضع الإضمار تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ﴾ أي خاصة ﴿الفاسقون﴾ أي الخارجون عن دائرة ما ينفعهم من الطاعة الراسخون في ذلك)[٣]

وقال السمين الحلبي (﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾. وهذا كما يدل بإيقاع الظاهر موقعَ المضمرِ على التفخيم والتعظيم يدلُّ به على عكسِه وهو التحقير)[٤]

وقد صرح أيضاً بالإظهار في الجملة كل من الآلوسي، والطاهر في تفسيرهما[٥]، ولكن عدل عن ذلك الإضمار إلى الإظهار لفائدة عظيمة، وهي لزيادة تقرير الحكم الوارد

---

(١) تفسير المراغي (١٠/ ١٥٦)

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٨٠)

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٥٢٠)

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ). (٦/ ٨٥). المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط. الناشر: دار القلم، دمشق. عدد الأجزاء: ١١

(٥) انظر تفسير الألوسي = روح المعاني (٥/ ٣٢٣). التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٥)

في التذييل عليهم، وهو بلوغهم الكمال في الفسق، ولإبراز أن فسقهم هو سبب الحكم عليهم بالفسق، ولتسجيل صفةِ الفسق عليهم، وذلك فيه تحقير لهم.

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

ما زال السياق في هتك استار المنافقين وبيان فضائحهم لعلهم يتوبون، وقد بينت الآية جانباً من وصفهم القبيح من أن مرجعهم الجمودُ على الهوى والطبعُ والعادةُ والتقليدُ من التابع منهم للمتبوع، ومضادة حالهم حال المؤمنين من الأمر بالمنكر والنهي عن المنكر، والبخل والشح في أبواب الخير، وأن سبب ذلك أنهم نسوا الله ﷻ فنسيهم، ولما كانت هذه النقائص عظيمة، والجرائم شنيعة، ذيلت الآية بحكمٍ يتلائم مع شناعة عاداتهم، وقبيح شأنهم، جاء التذييل في قوله ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ تقريرا لمعنى ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾، إذ كفرهم بالله وبرسوله هو الذي حرمهم هداية الله تعالى ففسقوا سائر أنواع الفسق فكانوا هم الفاسقين الجديرين بهذا الوصف، ولكن هذا التذييل جاء على أسلوبٍ بديع جداً متضمناً – من جملة ما تضمن– الإظهار لاسم المنافقين في موضع الإضمار، وذلك لبيان أنهم بسبب ما ذكر من وصفهم فاسقون بجانب نفاقهم، وهذه صفة قبيحة جدا تضاف إلى وصفهم السابق، ووصمة لهم، وذلك تحقيراً لهم، ولزيادة تقرير هذا الحكم عليهم في أذهان من له عقل، وما كان كل ذلك ليتحقق لو عبر بضميرهم دون صريح لفظهم ، فالضمير يفيد الربط بين السابق واللاحق، وأما الإظهار فقد جعل هذه الجملة الأخيرة جملة مستقلة بهم فيها نهاية حالهم، ومحصلة شأنهم، وكل ذلك فيه تحقير لهم[1]

(١) مستفاد من كلٍ من: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٥٢٠). التحرير والتنوير (١٠/ ٢٥٥). أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٣٩٣). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٦/ ٨٥)

**الموضع الحادي عشر.**

**قوله ﷻ** ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

**تفسير الآية الكريمة:-**

لقد بين الله ﷻ في هذه الآية ما أعدّ للمنافقين والمنافقات والكفار من العقاب جزاء لهم على قبح صفاتهم، وسوء أعمالهم فقال: ("وَعَدَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقاتِ وَالْكُفَّارَ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها" أي وعد الله هؤلاء جميعا نار جهنم يصلونها ما كثين فيها أبدا.وقدم المنافقين في الوعيد على الكفار للإيذان بأنهم وإن أظهروا الإيمان وعملوا أعمال الإسلام- شر من الكفار، ولا سيما المتدينين منهم بأديان محرّفة أو منسوخة كأهل الكتاب)[1]

ونصت الآية الكريمة على النساء المنافقات؛ (لأنهن يكوّنَّ الأسرة التي يُعشش فيها، ويشتركن في إيجاد البيئة المنافقة التي يسودها الفساد ويحكمها الشر، وقد ذكر الكفار بعد المنافقين، وهم والمنافقون داخلون في الكفر؛ لأنهم كفار يزيدون النفاق، ولذا قدموا لأنهم أوغلوا في الكفر، والكافر الضال مظنة التوبة كما تاب الطلقاء وأبناء الطلقاء، وأما المنافق فإنه ملتوي النفس ملتوي الفكر، وقد يكون الكفار سبب كفرهم عصبية جاهلية، أما المنافقون فسبب كفرهم مع هذا الانحياز الذي يشبه الانحياز العصبي فإنه يوجد في رءوسهم ضلال في الفكر والتواء في القصد)[2]

ومعنى قوله ﷻ: "هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ" أن(نار جهنم فيها من الجزاء ما يكفيهم عقابا لهم في الآخرة على أعمالهم، وعليهم لعنة الله في الدنيا والآخرة بحرمانهم من رحمته التي لا يستحقها إلا المؤمنون الصادقون، ولهم عذاب مقيم غير عذاب جهنم كالسّموم الذي يلفح وجوههم، والحميم الذي يصهر ما في بطونهم)[3]

---

(١) تفسير المراغي (١٠/ ١٥٦)

(٢) زهرة التفاسير (٧/ ٣٣٦٤، ٣٦٥).

(٣) تفسير المراغي (١٠/ ١٥٦)

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد جاء في هذه الآية أسلوب الإظهار في موضع الإضمار، حيث أظهر لفظ الجلالة " الله" في قوله " ولعنهم الله"، ولو أضمر فقيل "ولعنهم ولهم عذاب مقيم" لساعده النظم، لأن الكلام سبق فيه ذكر لفظ الجلالة، في قوله ﷻ " وعد الله المنافقين.."، فيصح عود ضميره عليه، قال الشيخ أبو السعود عند قوله ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾، (وفي إظهار الاسم الجليل من الإيذان بشدة السخط مالا يخفى)[1]ولكنه أوثر الإظهار للفظ الجلالة لفائدة جليلة، وهي الإيذان بشدة سخط الله وغضبه عليهم. وقد ذكر ذلك أيضاً العلامة الآلوسي في تفسيره [2]

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

لما أخبر الله ﷻ أنه توعد هؤلاء المنافقين الكافرين بثلاثة موعودات، الأولى نار جهنم المخلدين فيها، والثاني موعود معنوي، وهو الطرد والإبعاد المعنوي، وعبر عنه- سبحانه وتعالى- بقوله: (وَلَعَنَهُمُ)، وأما الثالث: عبر عنه بقوله- تعالى-:"وَلَهُمْ عَذَابٌ مقِيمٌ" أي مستمر دائم [3]، وكانت هذه العقوبات لا تصدر إلا ممن اشتد سخطه ، وعظم غضبه عليهم، جاء في الآية ما يفيد ذلك وهو إظهار لفظ الجلالة، ولو عبر بالضمير لفاتت هذه الفائدة.

**الموضعان الثاني عشر، والثالث عشر.**

**قوله ﷻ** ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾

**تفسير الآية الكريمة:-**

وما زالت السورة تحدثنا عن المنافقين، ومواقفهم الفاسدة، وعقيدتهم الباطلة. والمعنى: (ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن الله- تعالى- يعلم ما يسرونه في أنفسهم من نفاق، وما

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٨١)
(٢) انظر تفسير الألوسي = روح المعاني (٥/ ٣٢٣)
(٣) انظر زهرة التفاسير (٧/ ٣٣٦٥).

يتناجون به فيما بينهم من أقوال فاسدة، وأنه- سبحانه- لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ بلى إنهم ليعلمون ذلك علم اليقين، ولكنهم لاستيلاء الهوى والشيطان عليهم، لم ينتفعوا بعلمهم)[١]

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد تضمنت الآية الكريمة أسلوب الإظهار في موضع الإضمار، وذلك في موضعين من الآية الكريمة، " ٱللَّهَ يَعۡلَمُ..." و " ...ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ"، كما ذكر ذلك الشيخ أبو السعود فقال (وإظهارُ اسمِ الجلالةِ في الموقعين لإلقاء الروعةِ وتربيةِ المهابةِ)[٢]

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

إذا تأملنا الآية الكريمة رأينا أن فيها تهديدات في صورة أخبار، وقد أشار إلى ذلك الشيخ أبو السعود فقال (وفي إيراد العلم المتعلّق بسرهم ونجواهم بصيغة الفِعلِ الدالِّ على الحدوث والتجدد والعلمِ المتعلقِ بالغيوب الكثيرةِ الدائمةِ بصيغة الاسم الدالِّ على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة مالا يخفى وعلى الثاني لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على أنه تعالى مؤاخِذُهم ومجازيهم بما علم من أعمالهم)[٣]

فالمقام إذن مقام هيبة وجلال لا رأفة وجمال، تخويف وتهديد، لا تأمين وتدليل، ولذا جيء بأسلوب الإظهار في موضع الإضمار، فأظهر لفظ الجلالة في الموضعين، لإلقاء الروع والتخويف والتهديد والوعيد.

**الموضع الرابع عشر.**

**قوله** ﷻ ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩١﴾

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٦/ ٣٥٩).

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٨٦).

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٨٦)

**تفسير الآية الكريمة:-**

لقد ذكر في هذه الآية أصنافاً ثلاثة، أعذارها في التخلف عن الخروج للجهاد مقبولة، وبيانهم فيما يلي:-

(﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ في أبدانهم وأبصارهم، الذين لا قوة لهم على الخروج والقتال. ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ .وهذا شامل لجميع أنواع المرض الذي لا يقدر صاحبه معه على الخروج والجهاد، من عرج، وعمى، وحمى، وذات الجنب، والفالج، وغير ذلك. ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ أي: لا يجدون زاداً، ولا راحلةً يتبلغون بها في سفرهم، فهؤلاء ليس عليهم حرج، بشرط أن ينصحوا لله ورسوله، بأن يكونوا صادقي الإيمان، وأن يكون من نيتهم وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا، وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع على الجهاد)[1]

ثم أكد الله ﷻ الحكم السابق برفع الحرج عنهم فقال " ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ"، (السبيل: الطريق أي ليس لأحد أدنى طريق يسلكها لمؤاخذتهم، فكل السبل مسدودة دون الوصول إليهم)[2]

ثم ذيلت الآية ببيان أن الله ﷻ (كثير المغفرة واسع الرحمة يستر على المقصرين ضعفهم في أداء الواجبات ما داموا مخلصين النصح لله ورسوله، ويدخلهم في زمرة الصالحين من عباده)[3] فقال ﷻ " وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

قبل الحديث عن وجودأسلوب الإظهار في موضع الإضمار في الآية لابد من بيان موقع جملة:﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ من الإعراب، لأن موقعها يتضح معه

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٤٧)
(٢) تفسير المراغي (١٠/ ١٨٢)
(٣) تفسير المراغي (١٠/ ١٨٣)

فائدة أسلوب الإظهار من عدمه، وللمفسرين في بيان موقعها الإعرابي وجهان: الأول: وهو الذي يكون معه فائدة أسلوب الإظهار في موضع الإضمار أوقع، وهو أنها جملة مستأنفة مقررة لمضمون ما سبق الذي هو رفع الحرج عن الأصناف الثلاثة السابق ذكرهم، وهنا يكون إظهار اسم " المحسنين" في موضع الضمير، فلم يقل " ما عليهم من سبيل" فالكلام عنهم ويصح عود الضمير إليهم، ولكنه أظهر في مقام الإضمار لفائدة عالية، ونكتة غالية، وهي مزيد العناية بهؤلاء الثلاثة، وإثباتا لهم هذا العنوان الوصفي وهو الإحسان، وبيان أنهم بسبب نصحهم لله ﷻ ورسوله- صلى الله عليه وسلم- دخلوا وانتظموا في سلك مقام المحسنين.

الثاني: أن الجملة تعليل للحكم السابق على الأصناف المتقدمة الثلاثة، الذي هو نفي الحرج، أي لا حرج عليهم لأن الحرج عن أهل الإحسان مرفوع، وهؤلاء من جملتهم، فتكون الجملة مشتملةً على عَلَى عِلَّةٍ مَحْذُوفَةٍ. وَالْمَعْنَى لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى مَنْ عُطِفَ عَلَيْهِمْ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ لِأَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ غَيْرُ مُسِيئِينَ وَمَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ، أَيْ مُؤَاخَذَةٍ أَوْ مُعَاقَبَةٍ وَالْمُحْسِنُونَ الَّذِينَ فَعَلُوا الْإِحْسَانَ وَهُوَ مَا فِيهِ النَّفْعُ التَّامُّ.

وقد ذكر هذين الوجهين الشيخ أبو السعود، وتابعه في ذلك الشيخ الآلوسي، والقاسمي، والشوكاني، وانفرد بالأول البقاعي، والثاني الطاهر بن عاشور(١)

قال الشيخ أبو السعود (﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ استئنافٌ مقررٌ لمضمونِ ما سبق أي ليس عليهم جناحٌ ولا إلى معاتبتهم سبيلٌ ومن مزيدةٌ للتأكيد ووضْعُ المحسنين موضِعَ الضمير للدِلالة على انتظامهم بنُصحهم لله ورسولِه في سلك المحسنين

(١) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٩٢). تفسير الألوسي = روح المعاني (٥/ ٣٤٦). تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٥/ ٤٧٧). فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٤٧). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٥٧٣). التحرير والتنوير (١٠/ ٢٩٤)

أو تعليلٌ لنفي الحرجِ عنهم أي ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم)[1]

وقال الشيخ البقاعي (وقوله: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في موضع «ما عليهم» لبيان إحسانهم بنصحهم مع عذرهم)[2]

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

المقام في هذه الآية مقام عفوٍ، ومدحٍ وثناءٍ، فالكلام عن أهل صدقٍ في العقيدة والنية، فهم أهل إخلاص، بخلاف من تقدم الكلام عنهم من أهل النفاق الكاذبين في ادعاء أعذارٍ للتخلف عن الغزو، ولذا فالمقام يقتضي أكثر من بيان أن أولئك الصادقين معذورون في تخلفهم عن الغزو، بل بيان أنهم أيضاً صادقون في عزمهم الخروج للجهاد لولا أعذارهم الصادقة، ولما كان ذلك كذلك بينت الآية بعد أن رفعت الحرج عنهم أنهم من أهل الإحسان، نظراً لصدقهم حب الله ورسوله، وإخلاصهم النصح لله ولرسوله، فهم مؤمنون محسنون، بسبب ما كان منهم، بينت الآية ذلك كله عن طريق الإظهار لكلمة " المحسنين" بدلاً من التعبير بضميرهم " عليهم"، وذلك فيه ما فيه من الاعتناء بشأنهم والمدح والثناء عليهم، مع تأكيد رفع الحرج عنهم، ولو عبر بالضمير لفات مدحهم بفوات إثبات ذلك العنوان الوصفي لهم، ولفات بيان سبب رفع الحرج عنهم، الذي هو انتظامهم في سلك المحسنين.

**الموضع الخامس عشر.**

**قوله** ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٩٢)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٥٧٣)

**تفسير الآية الكريمة:-**

ما زال الكلام عن المنافقين المتخلفين عن الجهاد مع الرسول الأمين ﷺ المتعللين بالكذب من الأعذار، وقد بينت الآية ما يكون من هؤلاء المنافقين بعد عود سيدنا النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين الصادقين من الغزو في سبيل إعلاء كلمة الدين، فقال ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾أي (من غزاتكم. ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ أي: لن نصدقكم في اعتذاركم الكاذب. ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾وهو الصادق في قيله، فلم يبق للاعتذار فائدة، لأنهم يعتذرون بخلاف ما أخبر الله عنهم، ومحال أن يكونوا صادقين فيما يخالف خبر الله الذي هو أعلى مراتب الصدق.

﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ في الدنيا، لأن العمل هو ميزان الصدق من الكذب، وأما مجرد الأقوال، فلا دلالة فيها على شيء من ذلك. ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية، ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من خير وشر، ويجازيكم بعدله أو بفضله، من غير أن يظلمكم مثقال ذرة)[1]

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد تضمنت الآية الكريمة أسلوب الإظهار في مقام الإضمار، حيث أظهر قوله ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، دون ضميره، فلم يقل " ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَيه﴾. وقد صرح بذلك الشيخ أبو السعود، ، والبيضاوي، البقاعي، والآلوسي، والطاهر، والشوكاني، والقاسمي[2]

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٤٨)

(٢) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٩٤). تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٩٤). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩/ ٢). تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ٥). التحرير والتنوير (١١/ ٨). فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٤٩). تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٥/ ٤٨٠)

قال الشيخ أبو السعود: (ووضعُ المُظهرِ موضعَ المضمرِ لتشديد الوعيدِ فإن علمَه سبحانه وتعالى بجميع أعمالِهم الظاهرةِ والباطنةِ وإحاطتَه بأحوالهم البارزةِ والكامنةِ مما يوجب الزجرَ العظيم)(١)

وقال الطاهر بن عاشور، موضحاً ذلك (وَالْعُدُولُ عَنْ أَنْ يُقَالَ:"ثم تُرَدُّونَ إِلَيْهِ"، أَيْ إِلَى اللَّهِ، لِمَا فِي الْإِظْهَارِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، زِيَادَةً فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ)(٢)

لقد أظهر ولم يضمر، لفائدة جليلة، وهي إثبات أن الله ﷻ يعلم كل شيء ما كان من المنافقين وما يكون، فلربما توهموا من قوله " ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾أن الله ﷻ لا يعلم إلا ما أوقعوه بالفعل، فنفى ذلك بإظهار وصفه في موضع الإضمار مهدداً لهم بقوله هذا، وأيضاً لتشديد الوعيد المفهوم من لازم إخباره عن نفسه أنه محيط بكل شنائعهم علماً، وهو أنه مجازيهم ومعاقبهم عليها(٣)

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

لما كان الكلام عن أؤلئك المنافقين الكاذبين، وكان متضمناً الوعيد لهم والتهديد، وأنهم من أهل العناد المكذبين، أبرز ذلك المعنى بأسلوب رائع فيه ما فيه من التأكيد والتشديد، فجيء بوضع الظاهر موع المضمر، حيث أظهر وصف " عالم الغيب والشهادة" في ثنايا الوعيد لهم بالمجازاة على صنيعهم، لتأكيد ذلك الوعيد لأن إثبات ذلك الوصف له ﷻ فيه دلالة على إحاطة علمه وسعته لكل كذبهم، وادعائهم، وسوف يجازيهم

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٩٤)
(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٨).
(٣) انظر في ذلك تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٩٤). تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٩٤). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩/ ٢). تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ٥). التحرير والتنوير (١١/ ٨). فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٤٩). تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٥/ ٤٨٠)

عليها لا محالة، كما أن فيه مزيد فائدة على ما تقدم من أن الله قد أخبر عباده المؤمنين بحقيقة سبب عدم تخلفهم وهو النفاق، وهو أن الله كما علم ما كان منهم، سوف يعلم ما يكون أيضاً، فلا تتوهموا أنه علم ما كان منكم فقط، وأما ما سيكون فلن يحيط به أو يحصيه، ولو كان الكلام خاليا من هذا الأسلوب البديع لما تحقق المبالغة في الوعيد، ولما انتفى احتمال توهم أنه علم ما كان دون علمه بما يكون، غاية ما يفيد الضمير الإخبار بأن مردهم إلى الله ﷻ وهذا وإن كان فيه وعيد، لكنه عار من التأكيد عليه، وعلى إحاطة علمه ﷻ بكل شيء ما كان منه وما هو كائن وما سيكون.

**الموضع السادس عشر.**

**قوله ﷻ** ﴿يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٩٦﴾

**تفسير الآية الكريمة:-**

ما زال السياق الكريم في المخلفين من المنافقين[1]، المختلقين للأعذار الكاذبة، والمبررات الواهية في التخلف عن الجهاد مع سيدنا النبيﷺ، وفي هذه الآية الكريمة نجد أن الله ﷻ قد (زاد في تأكيد نفاقهم فقال: (يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ) أي يحلفون لكم لتستديموا معاملتهم بظاهر إسلامهم، وهذا أهمّ الأغراض لديهم، فلا حظّ لهم من إظهار الإسلام سواه، ولو كان إسلامهم عن يقين واعتقاد لكان غرضهم الأول إرضاء الله ورسوله.(فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ) أي فإن ترضوا عنهم كما أرادوا، وساعدتموهم على ما طلبوا فإن رضاكم عنهم لا يجديهم نفعاً، فإن الله ساخط عليهم بسبب فسوقهم وخروجهم عن أمره ونهيه.وفى هذا إيماء إلى نهى المخاطبين عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة وأن من يرضى عنهم من المؤمنين يكون فاسقا

(١)- انظر أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٤١٥)

مثلهم محروما من رضوان الله، وأن من يتوب منهم ويرضى الله ورسوله يخرج من حدود سخطه ويدخل في حظيرة مرضاته ولا يعدّ حينئذ فاسقا)[١]

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد اشتملت هذه الآية الجليلة على أسلوب الإظهار في موضع الإضمار، حيث أظهر كلمة " الفاسقين"، في موضع ضميرهم " هم"، فلم يقل " " فإن الله لَا يرضى عنهم "، وذلك لفائدة غاية في البلاغة والبيان، وهي ذمهم بتسجيل وصف الفسق عليهم، وبيان أن السخط علته ما كانوا عليه من الفسق، وأن كل من كان فاسقاً استوجب مشاركتهم في ذات الحكم وهو عدم رضا الله عنه ﷻ. وقد صرح بذلك الشيخ أبو السعود، ومن قبله البقاعي، وكذا الآلوسي، والطاهر، والشيخ أبو زهرة[٢]

قال الشيخ أبو السعود (ووضعُ الفاسقين موضعَ ضميرِهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجبِ لما حلَّ بهم من السُخط وللإيذان بشمول الحُكمِ لمن شاركهم في ذلك)[٣]، وقال البقاعي (﴿لا يرضى﴾ عنهم، هكذا كان الأصل ولكنه قال: ﴿عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٩٦﴾ إشارة إلى تعليق الحكم بالوصف وتعميماً لكل من اتصف بذلك)[٤]

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

لما كان المقام مقام حديثٍ عن المنافقين المتخلفين عن الغزو مع سيدنا النبي ﷺ، وكان ذلك عند الله إثماً عظيماً، ولما كان لربما اغتر المسلمون بأيمان المنافقين الكاذبة، بين الله ﷻ لهم بأبلغِ أسلوب أن هؤلاء المنافقين فاسقون بسبب سوء صنيعهم، وأنهم

(١) تفسير المراغي (١١/ ٦)

(٢) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٩٤). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩/ ٣). تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ٦). التحرير والتنوير (١١/ ١٠). زهرة التفاسير (٧/ ٣٤٢٠).

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٩٤).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩/ ٣).

كاذبون في أيمانهم، وأن عليهم أن لا يرضوا عنم مهما كانت أعذارهم، وأن على المخاطب العاقل أن يحذر من حذوا حذوهم حتى لا يطبع بالفسق فيكون مثلهم، ولما كان التعبير بالضمير " فإن الله لا يرضى عنهم" لا يؤدي كل تلك الأغراض العالية، والفوائد السامية، جل ما يفيده هو عدم رضا الله عنهم، جيء بأسلوب الإظهار في مقام الإضمار، لتسجيل الفسق عليهم، وذمهم به، وبيان أنه علة عدم رضا الله ﷻ عنهم، وأن على المؤمنين أن لا يرضوا عنهم لأن الرضا عنهم رضا عن الفاسقين، وهؤلاء من جملتهم.

**الموضع السابع عشر.**

**قوله ﷻ** ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾

**تفسير الآية الكريمة:-**

إن هذه الآية الكريمة تواصل الحديث عن المنافقين المتخلفين عن الغزو مع سيدنا النبي ﷺ، وبالتحديد عن التائبين منهم، فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يقول لهم هذه الآية، فهذه الآية وعيد للمخالفين أوامره، بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول والمؤمنين(١)

أو أنها أمر من الله لنبيه ﷺ أن يقول مخاطباً المؤمنين الذين أخطأوا والذين لم يخطئوا بأن العبرة بالعمل الحاضر، فإن كانوا عصاة فليتوبوا، وإن كانوا من السابقين الأولين فليستمروا على المنهاج الذي ارتضاه لهم ربهم(٢)

والمعنى ("وَقُلِ اعْمَلُوا": ما شئتم. " فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ": فإنه لا يخفى عليه خيراً كان أو شراً. " وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ": فإنه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم. " وَسَتُرَدُّونَ

(١) انظر في ذلك تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٥/ ٤٩٧).أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٤٢٢).

(٢) انظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٤٣٧). ولعل الأول هو الأليق لما في الآية من أسلوب التهديد والوعيد الذي هو لحال لنفاق والكفر أوفق.

إلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ": بالموت. " فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنتُمْ": تَعْمَلُونَ بالمجازاة عليه)[١]

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد جاء في هذه الآية الكريمة أسلوب الإظهار في مقام الإضمار، حيث أظهر قوله "عالم الغيب والشهادة"، في مقام الإضمار، ولم يقل " إليه"، وذلك فائدة بلاغية عالية، وسر بياني شريف، وهو تهويل الأمر الذي هو علم الله تعالى المحيط بكل شيء ومن ذلك كل ما يصدر عنكم أيها المخاطبون، وما يترتب على ذلك العلم من المجازاة على أعمالكم، وذلك فيه من الوعيد والتهديد ما فيه. ذكر ذلك الشيخ أبو السعود، ونقله عنه كل من الآلوسي، والقاسمي[٢]، قال الشيخ أبو السعود: ("إلى عالم الغيب والشهادة" في وُضع الظاهرُ موضعَ المُضمرِ من تهويل الأمرِ وتربية المهابةِ ما لا يخفى)[٣]

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

لما كان الكلام عن المنافقين الذين لهم شأن في ارتكاب المعاصي والذنوب، وكانت الآية متضمنة أن الله ﷻ مطلع على أعمالهم جميعاً، ولربما توهم متوهمهم أنه علْم بالظاهر دون الباطن أو أنه علْم بأعمالهم ومجازاة عليها في الدنيا فقط، جاءت جملة " " وَسَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ"، مبينة أن العلم يترتب عليه المجازاة، وهو علم كامل شامل للظاهر والباطن لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، وأنهم مجازون على ما يعلم عنهم، وذلك فيه من التهديد لهم ما يشيب هوله الغراب ولو جاء النظم هكذا بالضمير فقط " وَسَتُرَدُّونَ إِليه" لما أفاد سوى أن المرجع إلى الله ﷻ ، وأنه مجازيهم على أعمالهم، ولكن الإظهار في مقام الإضمار أليق بمقام الإخبار بعلمه ﷻ بأعمالهم من جهة، وبما يترتب على ذلك العلم من المجازاة من جهة أخرى، وهذا كله مما يترتب عليه عند كل

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٩٧)

(٢) انظر تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ١٠٠، ١٠١). تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٥/ ٤٩٨). تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ١٧)

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ١٠٠، ١٠١)

ذي قلب سليم الخوف والرعب من الاطلاع والمجازاة، فعبر بهذا العنوان في مقام الإضمار، ليتوافق مع ما في الكلام من تربية المهابة والتخويف والترهيب من أنه ﷻ عالم بكل شيء لا يخفى عليه شيء، فالوعيد أكيد، والتهديد شديد.

**الموضع الثامن عشر.**

**قوله ﷻ** ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

**تفسير الآية الكريمة، وبيان فيمن نزلت:-**

لقد نزلت هذه الآيات[1] في بيان مكيدة من مكايد المنافقين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، ليتعظ أولئك الغافلون من المؤمنين المغرورين بمسجد الضرار ومتخذيه ويخافوا أن يؤاخذوا بمشايعتهم لهم ولو بصلاتهم معهم في مسجدهم.فقد كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب، كان قد تنصّر، وكان له منزلة كبيرة فيهم، فلما هاجر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، واجتمع عليه المسلمون وعلت كلمة الإسلام، وأظهره الله على أهل الشرك فر إلى مكة وألبّ المشركين على سيدنا النبي- صلى الله عليه وسلم - في وقعة أحد، وخاطب قومه الأنصار ليستميلهم إلى نصره فسبوه وردوه أقبح رد، وبعد موقعة أحد فر إلى هرقل ملك الروم يستنصره فوعده وحباه، وكتب أبو عامر إلى جماعة من قومه من أهل النفاق أنه سيقدم بجيش يقاتل به محمداً ويغلبه، وأمرهم أن يتخذوا له

(١)- قوله ﷻ ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفرٗا وَتَفرِيقَۢا بَينَ ٱلمُؤمِنِينَ وَإِرصَادٗا لِّمَن حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبلُۚ وَلَيَحلِفُنَّ إِنۡ أَرَدنَآ إِلَّا ٱلحُسنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشهَدُ إِنَّهُم لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُم فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقوَىٰ مِن أَوَّلِ يَومٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَن أَسَّسَ بُنيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضوَٰنٍ خَيرٌ أَم مَّن أَسَّسَ بُنيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهدِي ٱلقَومَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ لَا يَزَالُ بُنيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَواْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠﴾.

معقلا يأوى إليه من يقوم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموا بناءه وفرغوا منه قبل خروج سيدنا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– إلى تبوك، وجاءوا فسألوه أن يصلى في مسجدهم فتكون صلاته ﷺ فيه ذريعة إلى تقريره لإثباته، وادعوا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم، وأهل العلة في الليلة الشاتية فعصم الله نبيه ﷺ من الصلاة فيه فقال: «إنا على جناح سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله» . ولما قفل عليه السلام راجعا إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم (مسجد قباء) الذي أسس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله– صلى الله عليه وسلم– من يهدم مسجد الضرار قبل مقدمه المدينة وأمر أن يتّخذ كناسة تلقى فيها القمامة إهانة لأهله(١)

والمعنى: (" أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان": أي على مخافة من الله وطلب لرضاه خير أمن أسس بنيانه على شفا: أي طرف. جرف هار: أي مشرف على السقوط، والجرف: ما يكون في حافة الوادي من أرض يجرف السيل من تحتها التراب وتبقى قائمة ولكنها مشرفة على السقوط، وقوله تعالى "فانهار به في نار جهنم": أي سقط به ذلك الجرف في نار جهنم والعياذ بالله تعالى، هذا حال أولئك المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار. وقوله تعالى " والله لا يهدي القوم الظالمين": أي لا يهديهم إلى ما يكملون به ويسعدون أي يحرمهم هدايته فيخسرون دنيا وأخرى(٢)

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:–**

لقد جاء في هذه الآية الكريمة أسلوب الإظهار في موضع الإضمار، حيث أظهر قوله ﷻ " بنيانه"، ولم يضمر بأن يقال " أسسه"، وذلك لفائدة دقيقة لا تخفى على ذي فكر ثاقب، وعلم ظاهر، وهي الإعلان بأن كلا البنيانين– مسجد قباء، ومسجد الضرار–

(١) انظر تفسير المراغي (١١/ ٢٤، ٢٥)
(٢) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٤٢٦)

مختلفان في ذاتيهما، فشتان بين مسجد التقوى، ومسجد الضرار، مسجد المؤمنين، ومسجد المنافقين. قال الشيخ أبو السعود (" خير أم من أَسَّسَ بُنْيَانَهُ" تركُ الإضمار للإيذان باختلاف البُنيانين ذاتاً)(١)

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

لقد اتخذ المنافقون بنياناً أطلقوا عليه اسم المسجد بقصد التفريق بين المؤمنين، وجعله مقراً ومرصداً لأعداء الله ورسوله والمؤمنين، وكان من قبل بالمدينة مسجد قباء الذي أسس من أول يوم وأقيم على تقوى من الله تعالى، وجمع شمل المؤمنين، ولما كان البون بين المسجدين شاسعاً، والفرق واسعاً، وأرادت الآية أن تقرر ذلك الفرق والبون، عبرت عن ذلك بما يبرز ويؤكد أن المسجدين والبنيانيين لا وجه للشبه بينهما، بأن جاءت بإظهار لفظة " بنيانه" في موضع الإضمار، فلو قيل " أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسسه" لتوهم أحد أن الكلام عن بنيان واحد أو مسجد واحد أسس مرتين مثلاً، ولكن الإظهار أفاد أن المسجدين مختلفين، والبنيانين متباينين فلا علاقة بينهما أصلاً، وذلك فيه ما فيه من التعظيم والمدح والاهتمام بالأول مسجد التقوى، والتحقير والذم للثاني الذي هو مسجد الضرار.

**الموضع التاسع عشر.**

**قوله ﷻ** ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

**تفسير الآية الكريمة، وعلاقتها بما قبلها:-**

**علاقتها بما قبلها:** إن هذه الآية الكريمة فيها بيان لصفات أولئك المؤمنين الذين أخبر الله ﷻ أن هناك مبايعة عظيمة، ومعاوضة جسيمة، عقدت بينه ﷻ وبينهم،

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ١٠٣)

ومضمونها أنه ﷻ اشترى منهم أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، في مقابل الجنة[1]، فكأنه قيل قيل: من هم المؤمنون الذين لهم البشارة من الله بدخول الجنات ونيل الكرامات؟ فجاء الجواب في هذه الآية التي بين أيدينا[2]

**والمعنى:** أولئك المبشرون (هم ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ أي: الملازمون للتوبة في جميع الأوقات عن جميع السيئات.

﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ أي: المتصفون بالعبودية لله، والاستمرار على طاعته من أداء الواجبات والمستحبات في كل وقت، فبذلك يكون العبد من العابدين. ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ لله في السراء والضراء، واليسر والعسر، المعترفون بما لله عليهم من النعم الظاهرة والباطنة، المثنون على الله بذكرها وبذكره في آناء الليل وآناء النهار. ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ فُسرت السياحة بالصيام، أو السياحة في طلب العلم، وفسرت بسياحة القلب في معرفة الله ومحبته، والإنابة إليه على الدوام، والصحيح أن المراد بالسياحة: السفر في القربات، كالحج، والعمرة، والجهاد، وطلب العلم، وصلة الأقارب، ونحو ذلك. ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ أي: المكثرون من الصلاة، المشتملة على الركوع والسجود. ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ ويدخل فيه جميع الواجبات والمستحبات.

﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ وهي جميع ما نهى الله ورسوله عنه.﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾ بتعلمهم حدود ما أنزل الله على رسوله، وما يدخل في الأوامر والنواهي والأحكام، وما لا يدخل، الملازمون لها فعلا وتركاً. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لم يذكر ما يبشرهم

---

(١) قال ﷻ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾

(٢) هذا الربط مستفاد من كلام كلٍ من: تفسير المراغي (١١/ ٣٠). تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٥٢، ٣٥٣).

به، ليعم جميع ما رتب على الإيمان من ثواب الدنيا والدين والآخرة، فالبشارة متناولة لكل مؤمن.

وأما مقدارها وصفتها فإنها بحسب حال المؤمنين، وإيمانهم، قوة، وضعفا، وعملا بمقتضاه)[١]

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد ضمنت الآية أسلوب الإظهار في موضع الإضمار حيث أظهر كلمة " المؤمنين"، عدولاً عن الأصل الذي هو قوله " وبشرهم" تعبيراً بضمير الغائبين "هم"، وذلك لفائدة رقيقة، وهي التعليل، والتعميم، والمدح للموصوفين بالإيمان الكامل. صرح بذلك كل من البيضاوي، والبقاعي، وأبو السعود، والآلوسي، والقاسمي[٢]

قال الشيخ أبو السعود (" وَبَشّرِ المؤمنين": أي الموصوفين بالنعوت المذكورةِ، ووضعُ المؤمنين موضعَ ضميرِهم للتنبيه على أن مَلاك الأمرِ هو الإيمانُ وأن المؤمن الكاملَ مَنْ كان كذلك)[٣]

يريد الشيخ أن الإظهار أفاد أن الإيمان هو علة اتصافهم بتلك الصافات المذكورة في الآيات من كونهم تائبين عابدين الخ، ولعل التعبير بقوله " المؤمن الكامل من كان كذلك" لأن الكلام على من أول قوله " التائبون" إلى قوله " الآمرون" في من كان كاملا في نفسه، و ما بعده في من هو مكمل لغيره. قال الشيخ البقاعي (وبشرهم، أي هؤلاء الموصوفين، هكذا كان الأصل الإضمار، ولكنه أظهر ختاماً بما به بدأ وتعليقاً يالوصف

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٥٣)

(٢) انظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ١٠٧). تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٩٩). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩/ ٢٩). تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ٣٢). تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٥/ ٥١٠)

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ١٠٧)

وتعميماً)[1]

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

لما كانت الآية تبين صفات قسمٍ آخر من الذين تكلمت عنهم السورة الكريمة، وكان هذا القسم هم المؤمنون الصادقون، وقد بينت الآيات السابقة قبح صفات المنافقين، وسجلت عليهم صفاتهم الذميمة بأساليب عالية منها الإظهار في موضع الإضمار، جيء هنا مقابلة لهم، بالحديث عن صفات المؤمنين بأساليب عالية أيضا، مدحاً لهم، واهتماماً بشأنهم، وحتى يكونوا قدوة حسنة لغيرهم، ومن تلك الأساليب الإظهار في موضع الإضمار، والذي أفاد المدح لهذا الفريق العريق في الإيمان والإخلاص لله ولرسوله ﷺ ، وأن تلك الصفات الطيبة التي سيقت لهم سببها والدافع لها إنما هو الإيمان، وأنهم بذلك صاروا هم الكاملون في الإيمان.

**الموضع العشرون.**

**قوله** ﷻ ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

**تفسير الآية الكريمة:-**

ما زال السياق الكريم في آثار أحداث غزوة تبوك، وقد جاءت الآية الكريمة هنا مؤكدةً وجوب متابعة الرسول والغزو معه لما فيه من الأجر العظيم، وحظر تخلف أحد عنه إلا بإذنه، حاثة لأهل المدينة المنورة من المهاجرين، والأنصار، ومن حولهم من الأعراب، الذين أسلموا فحسن إسلامهم[2]

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩/ ٢٩)

(٢) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٤٣٦). تفسير المراغي (١١/ ٤٤). تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٥٥)

ومعنى الآية الكريمة: (﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾.أي سكانها من المهاجرين والأنصار ﴿وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي ومن النازلين حول المدينة من الأعراب كمزينة وجهينة وغفار وأشجع وأسلم ﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ إذا خرج إلى جهاد ودعا بالنفير العام وفي هذا عتاب ولوم شديد لمن تخلفوا عن غزوة تبوك وقوله ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي بأن يطلبوا لأنفسهم الراحة دون نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله ﴿ذلك﴾ أي النهي الدال عليه بصيغة ما كان لأهل المدينة وهي أبلغ من النهي بأداته (لا) لأنه نفي للشأن أي هذا مما لا ينبغي أن يكون أبدا. وقوله ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾ بسبب أنهم لا يصيبهم ﴿ظَمَأٌ﴾ أي عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ أي تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ أي جوع شديد في سبيل الله أي في جهاد أهل الكفر لإعلاء كلمة الإسلام التي هي كلمة الله ﴿ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار﴾ أي ولا يطأون أرضا من أرض العدو يغتاظ لها العدو الكافر ويحزن ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ﴾أي لله تعالى ﴿نَّيْلًا﴾ أي منالا أي أسرى أو قتلى أو غنيمة منه أو هزيمة له ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ فلهذا لا ينبغي لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يفوتهم هذا الأجر العظيم. وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ تعليل لتقرير الأجر وإثباته لهم إن هم خرجوا مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأحسنوا الصحبة والعمل)[1]

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد تضمنت هذه الآية الكريمة أسلوب الإظهار في موضع الإضمار، حيث أظهر " المحسنين"، وأصل الكلام بإضماره " إن الله لا يضيع أجرهم" أي أجر أهل المدينة ومن

(١) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٤٣٦، ٤٣٧).

حولهم من الأعراب المتحدث عنهم في الآية، وذلك لفائدة مدحهم، وأن إحسانهم متفرع عنه ما ذكر في الآية من مجازاتهم، وأنهم داخلون في عموم المحسنين. وقد صرح بذلك الشيخ البقاعي، وأبو السعود، والآلوسي[1] ، قال الشيخ أبو السعود (ووضعُ المُظْهر موضعَ المضمرِ لمدحهم والشهادةِ عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وأن أعمالَهم من قبيل الإحسانِ وللإشعار بعلية المأخَذ للحكم)[2]

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

لما كان ما ذكر في الآية من شروط للمجازاة المطلوبة من الجلال بمكان، وكان لا ينالها إلا من اتصف بالإحسان، ذيلت الآية بما يفيد ذلك عن طريق إظهار لفظ " المحسنين" الذي يفيد أن علة كتْب ما ذكر من أعمال جليلة، هو أنهم محسنون، ومدحاً لهم بتسجيل الإحسان لهم، ووصفهم به.

**الموضع الواحد والعشرون:**

**قوله** ﷻ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

**تفسير الآية الكريمة:-**

إن الله ﷻ يرشد المؤمنين في هذه الآية إلى طريق السداد في باب قتال المشركين، وهو أن يبدءوا بقتال من يليهم ثم ينتقلوا إلى الأبعد فالأبعد وهكذا، وقد فعل النبي- صلى الله عليه وسلم – وصحابته كذلك، فقد حارب قومه ثم انتقل إلى غزو سائر العرب ثم إلى غزو الشام، ولما فرغ صحابته من الشام دخلوا العراق[3]، فقال ﷻ "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ"، (" وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً"، أى: وليجد الكفار منكم

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩/ ٤٥). تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ١١١). تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ٤٤، ٤٥).

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ١١١)

(٣) انظر تفسير المراغي (١١/ ٤٩)

غلظة عليهم في قتالكم، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقا بأخيه المؤمن، غليظا على عدوه الكافر)[١]

("وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" أي واعلموا أن الله معكم بالمعونة والنصر إذا اتقيتموه وراعيتم أحكامه وسننه)[٢]

**بيان الاسم المظهر في الآية، وفائدة الإظهار البلاغية:-**

لقد جاء في هذه الآية الكريمة أسلوب الإظهار في موضع الإضمار، حيث أظهر " المتقين"، والأصل التعبير بضميرهم، كأن يقال " واعلموا أن الله معكم"، ولكنه عدل عن هذا الظاهر لفائدة أن القتال والإيمان على الكيفية التي ذكرت من باب التقوى والشهادة، يكونون به من جملة المتقين. قال الشيخ أبو السعود في ذلك (" واعلموا أَنَّ الله مَعَ المتقين" بالعصمة والنصرة والمرادُ بهم إما المخاطَبون ووضعُ الظاهرِ موضعَ الضمير للتنصيص على أن الإيمانَ والقتالَ على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين)[٣]، وقد ذكر ذلك الآلوسي أيضاً نقلاً عن الشيخ[٤]

**أثر الأسلوب في التفسير:-**

لما كان مضمون الآية هو الحض والحث على أمرٍ شديد وهو بذل النفس والمال بالجهاد والقتال، وهو أمر يحتاج إلى تشجيع، وترغيب ذكرت الآية أن ذلك لا يكون إلا من بلغ منزلة المتقين من المؤمنين، وأن الباعث لمن صدق في ذلك إنما هو التقوى، أو أن الله ﷻ لا يكون بمدده وعونه ونصرته إلا مع من توافرت فيه صفات التقوى، وأولئك المذكورون من المتقين، وذلك فيه ما فيه من المدح لهم، وتعليق الجزاء الذي هو النصر والمعونة والتأييد على شرط التقوى، وبيان أنها علة في تحقيق المؤمنين لما طلب منهم من قتال الكافرين على النحو الذي أمر الله به في الآية، ووجه وأرشد.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٦/ ٤٢٩)

(٢) تفسير المراغي (١١/ ٥٠)

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ١١٢)

(٤) انظر تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ٤٧)

# النتائج والتوصيات

**أولاً: النتائج: وقد توصلت من خلال البحث إلى بعض النتائج:-**

١- أن أسلوب الإظهار في موضع الإضمار واحد من أهم الأساليب التفسيرية في فهم مراد الله ﷻ من كلامه.

٢- أن القرآن الكريم اشتمل على أسلوب معجزٍ، وباهر لا يجاريه بليغ ولا يدانيه ذو بيان.

٣- أن سورة التوبة اشتملت على إحدى وعشرين موضعاً لأسلوب الإظهار في موضع الإضمار، وهذا رقم كبير بالنسبة لعدد آيات السورة.

٤- أن هذا الأسلوب يكثر وروده في القضايا الهامة، ومعالجة الموضوعات ذات الشأن كالجهاد، وبيان صفات المنافقين، ونحو ذلك.

٥- أن كتاب تفسير أبي السعود هو أكثر كتب التفسير، وأعرقها في إلقاء الضوء على أسلوب الإظهار في موضع الإضمار.

٦- أن كل من جاء بعد الشيخ أبي السعود من المفسرين، وقد تحدث عن أسلوب الإظهار في موضع الإضمار، قد نقل عن الشيخ إما بالتصريح عنه، أو بلصق ألفاظه وعباراته كما هي، وقد تقدم بيان ذلك في مقدمة البحث[١]

٧- أن أسلوب الإظهار في موضع الإضمار قد جاء لفوائد بيانية وتفسيرية كثيرة، ومتعددة جامعها إحدى عشرة فائدة، وهي:-

- تربية المهابةِ (لفظ الجلالة)
- لتربية المهابةِ وإدخالِ الروعة وهو شبيه بسابقه.
- الذم بصفة كالكفر

(١) انظر المقدمة (و).

- تسجيل وصف قبيح كالظلم والكفر وبيان سبب الحكم السابق المذكور في الآية. وهو شبيه بسابقه
- المدح والحث على الصفة التي مدح بها من كان الكلام عنهم وبيان أنها سبب في العطاء السابق إن كان قد ذكر.
- زيادة التقرير.
- إظهار التبرُّكِ والتلذذِ بالاسم المظهر.
- التحقير.
- الإيذان بشدة سخط الله وغضبه.
- زيادة الاعتناء بإثبات وصفٍ حسنٍ للمتكلَّم عنهم.
- بيان أن الاسمين المظهرين مختلفين، وذلك من باب العناية والاهتمام والمدح أيضا بأحدهما مع الذم للثاني كما في إظهار كلمة "بنيانه" في مسجد قباء– مسجد التقوى، ومسجد الضرار.

**ثانياً: التوصيات:**

١– ضرورة دراسة أساليب القرآن الكريم بشكلٍ وافٍ، فإن ذلك مما يعين على فهم كلام اللهﷻ، وتذوق معانيه.

٢– البحث في كتب التفسير التي عنيت بإظهار أساليب القرآن الكريم المعجزة، حتى يبرز جهد هؤلاء الأجلاء لكل مطالع وقارىء.

٣– التركيز على البحث في كتب علوم القرآن، مع ربط موضوعاتها بتفسير كتاب الله ﷻ بشكل تحليلي، أو موضوعي، فإن ذلك مما يثري الباحث والقارىء، ويخدم كتاب الله ﷻ.

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

# فهرس المصادر والمراجع، حسب ترتيب ورودها في البحث

١- القرآن الكريم.
٢- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني. المؤلف: محمد محمد أبو موسى.الناشر: مكتبة وهبة. الطبعة: السابعة
**٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)**
**الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ**
٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل. المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ). المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
٥- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ).الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي
(المتوفى: ٨٨٥هـ). الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٧- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ). الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس.
٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ). المحقق: علي عبد الباري عطية. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٩- البرهان في علوم القرآن. المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ).المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م. الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه
١٠- الإتقان في علوم القرآن. المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ).المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١١- علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع». المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ).
١٢-معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران). المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) . دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان
١٣- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر». المؤلف: عادل نويهض. قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد. الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان. الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
١٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ).حققه: محمود الأرناؤوط. خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط. الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت.
١٥- معجم المؤلفين. المؤلف: عمر رضا كحالة. الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
١٦- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم». جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي.الناشر: مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا.
١٧- شيخ الإسلام أبو السعود أفندي للدكتور/ عصام محمد علي عدوان.ط : مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الثاني والعشرون ٢٠١١م.
١٨- طبقات المفسرين. المؤلف: أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ). المحقق: سليمان بن صالح الخزي. الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية.
١٩- سلم الوصول إلى طبقات الفحول. المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ).المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط. إشراف وتقديم: أكمل الدين.إحسان أوغلي. تدقيق: صالح سعداوي صالح. إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور. الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا.
٢٠- التفسير والمفسرون المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ). الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

٢١- الأعلام للزركلي. الأعلام. المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ).الناشر: دار العلم للملايين.
٢٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ). الناشر: دار المعرفة – بيروت.
٢٣- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة. المؤلف: نجم الدين محمد بن محمد الغزي (المتوفى: ١٠٦١هـ). المحقق: خليل المنصور. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٢٤- سلم الوصول إلى طبقات الفحول المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ). المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط. إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي. تدقيق: صالح سعداوي صالح.
٢٥- الفوائد البهية في تراجم الحنفية المؤلف: أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي. (ص: ٨١، ٨٢). عنى بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني. الناشر: طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر – لصاحبها محمد إسماعيل.
٢٦- ديوان الإسلام. المؤلف: شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (المتوفى: ١١٦٧هـ). المحقق: سيد كسروي حسن. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٢٧- لسان العرب لابن منظور . ط : دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .
٢٨ – تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ). ١٨٣/١.المحقق: محمد عوض مرعب. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٢٩- مناهل العرفان في علوم القرآن. المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ). الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. الطبعة: الطبعة الثالثة
٣٠- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للإمام محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة – ط : مكتبة السنة، الطبعةالرابعة .
٣١- علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر للدكتور /عبدالمنعم النمر– ط : دار الكتب الإسلامية – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .
٣٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة – ط : مكتبة المثنى – بغداد، سنة ١٩٤١م.

٣٣- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ). تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم
تحقيق: د. علي دحروج. نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي. الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني. الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت. الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م.
٣٤- معجم اللغة العربية المعاصرة.المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل. الناشر: عالم الكتب. الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٣٥- لسان العرب. المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ). الناشر: دار صادر – بيروت. الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
٣٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ). الناشر: المكتبة العلمية – بيروت. ،
٣٧- مختار الصحاح. المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ). المحقق: يوسف الشيخ محمد. الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا. الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
٣٨- المعجم الوسيط. المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار).الناشر: دار الدعوة.
٣٩- معجم مقاييس اللغة. المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ). المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر. عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٠- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ). الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
٤١- البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع.المؤلف:حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (المتوفى: ١٤٢٩ هـ).الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة – مصر. الطبعة: سنة ٢٠٠٦ م.

٤٢- الكتاب. المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ). المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة. الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٤٣- ما يجوز للشاعر في الضرورة. المؤلف: محمد بن جعفر القزاز القيرواني أبو عبد الله التميمي (المتوفى: ٤١٢هـ). حققه وقدم له وصنع فهارسه: الدكتور رمضان عبد التواب، الدكتور صلاح الدين الهادي. الناشر: دار العروبة، الكويت - بإشراف دار الفصحى بالقاهرة.عدد الأجزاء: ١.
٤٤- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية. المؤلف: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية. الناشر: موقع الجامعة على الإنترنت. عدد الأجزاء: ١٢٠ عددًا.
٤٥- ألفية ابن مالك. المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ). الناشر: دار التعاون.
٤٦- دلائل الإعجاز. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ).المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر. الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة. الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٤٧- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ). ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي. الناشر: المكتبة العصرية، بيروت. عدد الأجزاء: ١.
٤٨- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. عبد المتعال الصعيدي. الناشر: مكتبة الآداب. الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. عدد الأجزاء: ٤.
٤٩- أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني. المؤلف: أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي . الناشر: وكالة المطبوعات - الكويت. الطبعة: الأولى، ١٩٨٠ م. عدد الأجزاء: ١.
٥٠- قطع الأزهار في كشف الأسرار. للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). تحقيق ودراسة أحمد بن محمد الحمادي.إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. إدارة الشئون الإسلامية. دولة قطر. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ_ ١٩٩٤م.
٥١- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ
٥٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم. المؤلف: محمد سيد طنطاوي. الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة.

٥٣- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ). تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة. الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
٥٤- تفسير الجلالين. المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). الناشر: دار الحديث – القاهرة. الطبعة: الأولى.
٥٥- تفسير المراغي. المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ). الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
٥٦- المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ). حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي. راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو. الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٥٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
٥٨- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري
الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. عدد الأجزاء: ٥
٥٩- محاسن التأويل. المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)
المحقق: محمد باسل عيون السود. الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
٦٠- زهرة التفاسير. المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)
دار النشر: دار الفكر العربي. عدد الأجزاء: ١٠
٦١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ). المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط. الناشر: دار القلم، دمشق. عدد الأجزاء: ١١

# فهرس الموضوعات

ملخص البحث:- ..... ٩٣٧

**المقدمة:** ..... **٩٤٠**

مشكلات البحث:- ..... ٩٤٨

الهدف من البحث، والباعث على اختيار الموضوع:- ..... ٩٤٩

المنهج المتبع في البحث:- ..... ٩٥١

الدراسات السابقة:- ..... ٩٥٢

خطة البحث:- ..... ٩٥٥

**المبحث الأول: ترجمة الشيخ أبي السعود، ومكانة تفسيره** ..... **٩٥٧**

المطلب الأول: اسمه ونسبه، ومولده ..... ٩٥٧

المطلب الثاني: نشأته، وطلبه للعلم، ومكانته العلمية ..... ٩٥٨

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه: ..... ٩٦١

المطلب الرابع: مذهبه وعقيدته ..... ٩٦٤

المطلب الخامس: مؤلفاته، ووفاته ..... ٩٦٧

المطلب السادس: الكتب التي اعتمد عليها أبو السعود، ووصف تفسيره، وثناء العلماء عليه، وبعض حواشيه ..... ٩٦٩

**المبحث الثاني: أسلوب " الإظهار في موضع الإضمار"، تعريفه، وكلام العلماء عنه، وفوائده. ..... ٩٧٥**

المطلب الأول: تعريف" أسلوب الإظهار في موضع الإضمار"..... ٩٧٥

المطلب الثاني: كلام العلماء عن " الإظهار في موضع الإضمار":-..... ٩٨١

المطلب الثالث: فوائد، وأسرار " الإظهار في موضع الإضمار":-..... ٩٩٥

المبحث الثالث: مواضع " الإظهار في موضع الإضمار" في سورة التوبة، وأثره في التفسير من خلال تفسير أبي السعود:-..... ١٠٠١

المطلب الأول: بين يدي السورة الكريمة:- ..... ١٠٠١

المطلب الثاني: مواضع" أسلوب الإظهار في موضع الإضمار" في سورة التوبة، وأثره في التفسير من خلال تفسير أبي السعود:- ..... ١٠١٢

**النتائج والتوصيات ..... ١٠٥٦**

فهرس المصادر والمراجع، حسب ترتيب ورودها في البحث ..... ١٠٥٨

**فهرس الموضوعات ..... ١٠٦٤**